

البَابُ الأولُ

فكرة الروح منذ فجر التاريخ

obeikandi.com

عجالة عن الروح عند الأقدمين^(١)

تمهيد

الإيمان بالروح قديم قديم الإنسان ، بما في ذلك الاعتقاد بخلودها وبالثواب والعقاب ، وكلما تتبع الباحثون تاريخ المجتمعات البشرية وجدوا الإيمان واضحاً بهذا الخلود ، بل وجدوا علامات كثيرة من التشابه في وصف الحياة الآخرة وربطها بالحياة الدنيا . ومن الاعتقاد بأن هذه الحياة الآخرة فيها كل مظاهر الحياة الدنيا ، مع تفاوت كبير في ظروف السعادة أو الشقاء . فذلك هو ما التقت عنده معتقدات الأقدمين وأساطيرهم وأشعارهم في شتى الحضارات المندثرة ، وعند من يعرفون كيف أن الإلهام قد يوجه الحياة في كافة مستوياتها ، وكيف أن عقول العباقره والفلاسفة والشعراء كثيراً ما تكون هي (أجهزة الاستقبال) لهذا الإلهام الكوني العام ، ويبدو مفهوماً أمر تشابه المعتقدات المختلفة عند شتى شعوب الأرض في شأن طبيعة الحياة الأخرى ، لا في شأن التسليم بها فحسب .

وفي هذا الشأن يقرر الأستاذ الدكتور حسن عثمان في ترجمته العربية ، لكوميديا الشاعر دانتي أليجييري عن « الجحيم » لم يكن دانتي بطبيعة الحال أول من تناول في « الكوميديا » عالم ما بعد الحياة ، ولقد تناولت ثقافة البشر هذه الناحية منذ أقدم العصور ، من سيبيريا إلى الهند وبابل ومصر وسوريا وفارس

(١) الإنسان روح لاجند للدكتور رموف عبيد .

واليونان وروما وإسكندناوة وأيرلندة والأندلس .

نجد مثلاً المصريين القدماء قد عرفوا في ديانتهم الجحيم المظلم بما يحتويه من ألوان العذاب ، وتصوروا الفردوس بما فيه من أنواع النعيم والسعادة الأبدية ، وعندهم أوزيريس يزن أعمال الناس ، ويدفع بهم إلى الجزاء العادل . وفي ديانة البابليين تهبط عشتروت إلى الجحيم حيث عذاب الزمهرير والجوع والعطش والبرص ، لتبعث تاموز إلى الحياة . وعند اليهود أرض الظلام التي تقع تحت الأرض ، وتتلقى الأخيار والأشرار على السواء . وفي ديانة الفرس جحيم ومطهر وفردوس ، والإنسان ميدان معركة بين (أهورا ما زاد) إله الخير و«أهريمان» ملك الظلمات والعالم السفلى . وفي ديانة الهند يهبط يودهيشثيرا إلى الجحيم ، حيث رائحة الإثم والجثث والديدان والحوام والطيور والكواسر وأمواج اللهب ، ويصعد البطل أرجنا إلى السماء مأوى المؤمنين حيث الأزهار الجميلة ، والغواي تحت الأشجار الخضراء ، والأنعام السماوية ، ويصل البطل محاطاً بالملائكة وصفوة البراهمة إلى حضرة رب الأرباب . وعند الإغريق يذكر هوميروس في الإلياذة عالم الموتى والأبالسة وأنهار الجحيم وأبواب السماء ونييم الفردوس . ويتكلم في الأدونيسية عن زيارة أوليسيس للعالم السفلى وحديثه مع أشباح الموتى . وتحتوى ثقافة الأوتوسكيين على عالم ما بعد الحياة ، وما يشمله من الشياطين والرعب والفرع . وبعض رسوم مقابرهم تعتبر كمقدمات لجحيم دانتي » (٢) .

وهكذا يصدق على إيمان مواكب الشعوب بالروح وبالخلود ، ما لاحظته أحد الحكماء من أنه مما كتبه قدماء الفلاسفة من جميع الأجناس ، وما أنشده

(٢) عن الكوميدبا الإلهية «الجحيم» راجع بوجه خاص ص ٥٥ - ٦١ .

فطاحل شعراء جميع الشعوب ، وما جاء به حكماء جميع الأمم ، نستطيع أن نجتمع آثار هذا الإشراق الذى جاء الإنسان ، وهو تفتح الوعى الروحى . لقد تحدث عنه هذا بطريقة ، وذلك بأخرى ، ولكن الجميع ردّدوا نفس القصة - قصة واحدة لا تختلف . كل الذين أشرق عليهم هذا النور ولو خافتاً باهتاً ضعيف الضياء يرون نفس المعالم . وقرب الشبه بين ما تصنعه الأنشودة والشعر والتعاليم ، مهما بُعدَ العصر واتسعت الحقبة بينها ، إنها أنشودة الروح التى إذا سمعت مرة لا تنسى ، سواء أنشدتها المتوحش على صوت آله البدائية ، أو عزفها المتحضر على أوتار الآلة العصرية المتقنة .

إنها هى التى انحدرت من مصر الفراعنة ، أو من الهند ، أو من أينا وروما . من القديس المسيحى فى الكنيسة والدير ، من الفيلسوف الصينى ، ومن قصص الهندى الأحمر وهو يروى أسطورة النبى البطل ، إنها واحدة التبرات متشابهة النغم ، ولكن صوتها يزداد ارتفاعاً كلما مر الزمن بانضمام المنشدين الجدد ، كلٌ بما فى يده من قيثار أو غيرها من آلات النغم إلى الفرقة العظمى (٣) .

والاعتقاد بإمكان الاتصال بين الأحياء و « الأموات » ليس بدوره أمراً جديداً ، بل إنه يمثل عقيدة كانت معروفة وشائعة فى مجتمعات كثيرة ، فيروى المؤرخ « فسك » مثلاً أن الاتصال بأرواح الموتى كان من أول العبادات التى عرفها أجدادنا على اختلاف أجناسهم ، التى عاشت فى أفريقيا وآسيا والصين واليابان . وفى الشعب الآرى الأوروبى ، وفى قبائل الهنود الأمريكين . كما يروى « آلين » أيضاً فى « تاريخ المدينة » أن القبائل المتوحشة فى كل العالم ذات إلمام

(٣) عن « فلسفة اليوجا » تأليف يوجى رامنا شاراكما ، ترجمه الأستاذ عريان يوسف سعد

بالنفس الإنسانية وعالم الروح والخلود بوجه عام ... وأن الوفاة ما هي إلا خلاص الجسم عن طريق هذه النفس العجيبة التي يعتقدون أنها في مكاناً ما قريب ، وأن الحب والكره في هذا العالم يتقلان إلى العالم الآخر .

ويضيق المقام هنا عن تتبع هذه العقيدة عند الأقدمين في البلاد المختلفة . بل يكفي في مؤلف موضوعه التقديم « للعلم الروحي الحديث » أن تنبه الأذهان - في عجالة - إلى أن هذا الموضوع قديم ، وأن كل ما فعله الحديث هو أنه رضى أخيراً أن يتواضع قليلاً ، ويبحثه بالأساليب العلمية الحديثة ، فكانت المفاجأة الكبرى أنه جاز الامتحان بنجاح ، في الوقت الذي كان قد استقرّ في الأذهان أنه محض خرافة اندثرت مع تقدم العرفان إلى غير رجعة . فاضطر الباحثون العلميون إلى أن يراجعوا آراءهم المادية ويعيدوا صياغتها ، فإذا بها بعد هذه الصياغة الجديدة أثبتت قَدْماً ، وأقوى على النقد وعلى مواجهة كشف العلم المادى نفسها التي أخذت تترى في تدقّ مثير ، منذ عرفت الحقائق الروحية سبيلها إلى الأذهان ، وفي تضامن مع التسليم بصحة هذه الحقائق . وذلك إلى المدى الذي يدفع بعض الباحثين الروحيين ، إلى الاعتقاد بأن عالم الروح كان وراء هذه النهضة الروحية الباهرة ، كما كان من قبل وراء كل نهضة روحية عرفها الإنسان . « فعالم الروح قديم قدم الحياة ، وعالم المادة ظلّ باهت عليه ، وأولها خالد لا يفنى وثانيهما عرضة للفناء . ويمكن الآن اعتبار أثر الفناء - كما يقول الأستاذ جيمس آرثر فندلاى مدير المعهد الدولى للبحث الروحي - هو حلقة الاتصال الكبرى التي توحد ما بين عالم المادّة وعالم الروح ، لأن مادة الأثير مشتركة بين العالمين . وكلاهما محصور داخل هذه المادة ، وكلاهما جزء منها ، وكلاهما مكوّن منها . والعالمان جزء من كون واحد ، والحياة في كليهما مقيدة به ، فهنا في العالم المادى الذى نعيش فيه ، إنما نحس فقط بنوع من

الاهتزازات المنخفضة الذرجة ، أما في عالم الروح حيث تؤدي الحياة وظائفها أيضاً ، فإن الوعي يتأثر بنوع من اهتزازات أعلى درجة .

وكما أوغلنا في البحث سترداد اقتناعاً بهذه الآراء . لأنه من أحاديثي مع أولئك الذين يحيون تلك الحياة ، سنعلم أن عالم الروح حقيق ملموس جميل كهذا العالم الذي تدركه حواسنا المحدودة ، بل إنه في الواقع أكثر منه في هذا الصدد »^(٤) .

وفيما يلي سنمرّ على موضوع الروح من ناحية الاعتقاد في خلودها ، في عصور مختلفة من التاريخ ، وفي آداب مختلف الحضارات وفلسفاتها ، متوخّين أن نقدّم هذه العجالة بترتيب تاريخي ، فنعالج موضوع الروح عند الإنسان البدائي والفراعنة ، ثم عند الهندوس ، ثم عند الإغريق ، ثم عند العرب وفلاسفة الإسلام ، ثم في عصور أحدث مما تقدم .

فكرة الروح^(٥) عند الإنسان البدائي

كانت الجماعات البدائية في جاهليتها الأولى تواجه حيناً كانت (لغز المجهول) في نفوسها ، وفي كل ما يكتنفها في مظاهر الطبيعة حولها ، وتحاول أن تبني على ما تعانيه من هذه الظواهر الإنسانية والطبيعية ، أفكارها عن الإنسان وعن الطبيعة .

ولعل أروع ما واجهته هذه الجماعات في نفسها من ألغاز المجهول (لغز الموت) ، وإننا لتمثل الإنسان البدائي منذ أقدم العصور ، في أول موقف له

(٤) « على حافة العالم الأثيري » طبعة ثالثة ص ٤٤ .

(٥) من مقال للأستاذ / عبد الرحمن صدق . مجلة الهلال العدد ١١ - نوفمبر ١٩٧١ .

أمام الموت ، وهو واقف على جثة رفيقه الميت حائراً مذهولاً ، وخاصة وهو قريب عهد بالميت ، يذكر كيف كان منذ لحظة مثله يَعدُّو ويروح ويتكلم ويفعل ، مثل ما يفعله سائر الأحياء .

فماذا دماه ؟

إن كل شيء فيه يبدو عادياً فهو سليم البنية لم يُثر منه عضو - صحيح الجوارح لم تصبه طعنة في قلبه .. ولا كسر في جمجمة رأسه ، ولا غير هذا وذلك من مواضع الإصابة في المقاتل ، ومع ذلك فإن جسده برغم بنيته وصحة جوارحه ، قد بردت فيه حرارته وهدمت حركته .

فما هو ذلك الشيء الحى ، غير المنظور الذى كان في هذا الجسد ثم فارقه ، فإذا الحياة قد فارقت معه الجسد - مع أنه - من حيث هو جسد ، لا يختلف في مرأى العين عن جسد من هم على قيد الحياة لا يزالون ؟

وذلك الشيء الخفى سرّ الحياة في الجسد الحى ، سرعان ما اهتدى إليه الإنسان البدائى حين انحى على وجه الميت ، فإذا به لا يحسّ نفساً يتردد . من هنا استنتج الإنسان البدائى أن ذلك الشيء الخفى غير المنظور كالهواء ، هو في أجسام الأحياء عنصر الحياة ، أى أن الروح من عنصر غير عنصر الجسم .

ولكن للقارئ أن يقول : إن هذا الاستنتاج وإن كان غير بعيد أن يقع للإنسان البدائى ، فإن الحكم بوقوعه له لا يخرج عن أنه حكم افتراضى لا يستلزم القبول ، وجوابنا على الاعتراض أنه صحيح ما لم يقدّم دليل يؤيده . وعندنا لحسن الخطّ الدليل ، وهو الوحيد الذى لا يمكن أن يكون في مثل

هذه الحال غيره . . ذلك الدليل ، هو ما أسفرت عنه الدراسة المقارنة للغات منذ أقدم العصور ، من الابتعاد منذ أقدم العصور بالمداول الأخرى لفكرة (الروح) عن كل ما هو جسدى إلى ما هو فى اعتقاد القدمين - لا مادية -

مثل نسيمات الهواء ونفحات الريح . ففي القارة الآسيوية نجد اللغة السنسكريتية أقدم لغات الهند ، في حضارتها الأدبية الدينية قد أطلقت على الروح و (الهواء أو الريح) لفظاً واحداً هو (ألمان Alman) كذلك لا يختلف الوضع عن ذلك في اللسان الجاوى .

كما أن الدارسين لأحوال البقية الباقية من الجماعات البدائية في غرب أستراليا قد لاحظوا على القوم هذه الظاهرة بعينها ، في لغتهم وهذا بعينه كذلك ما يجرى حتى اليوم على لسان الهنود الحمر في أمريكا الشمالية .

وفي القارة الأوروبية منذ الحضارات القديمة اشتق اليونان من الفعل الذى معناه يتنفس كلمة : (Psyche)

ثم جاء الرومان فاستقوا من الفعل نفسه كلمة Psychicus وكلاهما بمعنى النفس أو الروح ، وكلنا يعرف معنى هاتين الكلمتين في التركيب الأوروبي المنقول عنهما وهو (Psychocology) نقلناه إلى لغتنا بحروفه (بسيكولوجيا) المنقول عنها (Psychology) بمعنى علم النفس ، كذلك نجد في هاتين اللغتين القديمتين ذاتهما - اليونانية واللاتينية - كلمة Pneuto ومعناها الهواء ، وهو بمعنى الروح في بعض فروع فلسفة ما وراء الطبيعة وهو المسمى Pneutology أى (العلم الروحى) ونسوق أخيراً وليس آخراً - هذا المثل من أقدم اللغات السامية في الشرق ، وهما العربية والعبرية ، وحسبنا في بيان قدم لغتنا أن نذكر ما هو ثابت لدى علماء التوراة ، من أن أحد أسفارها وهو (سفر أيوب) مترجم للعبرية من العربية ، ثم نبداً باللغة العربية فنقول : إن كلمة (الروح) فيها قرينة من (الريح) من حيث لفظها واشتراكها في معظم الحروف ، بل إن كلمة الروح تشتمل فعلاً على المدلولين معاً فهى (الروح) و (الريح الخفيفة) ، ومرادف الروح في لغتنا (النفس) وهو أيضاً يقال : لفظ (النفس الأخير) بمعنى فاضت نفسه أو .

صعدت روحه ، وتتفق اللغة العربية مع اللغة العبرية في كلمة النفس بمعنى الروح ، مع فارق واحد في اللفظ وهو أن حرف (السين) في لغتنا هو (الشين) في لغتهم . فالنفس عندهم (نفس) كما أن السلام عندهم (شالوم) .
ومما قدمنا يظهر أن الإنسان البدائي كان فهمه أول الأمر لحياته أن قوامها تحرك آلى يرجع إلى تركيبه العضوى ، وبعبارة أخرى كان وقوفه عند المادة على أنها الحقيقة الأولى والأخيرة ، ولكنه مع تطوره الحضارى أدرك أن عنصر الحياة في جسده المادى غير مادى ، بل شىء خفى هوالى كالريح ، بدليل انتفاق مدلولها اللفظى في أقدم اللغات ، ولا شك أن هذا الإدراك الذى حققه الإنسان البدائى نحو إدراك الروح يعد نقلة كبرى ودرجة لها ما بعدها فى معراج الارتقاء الروحى لو استقام على الطريق .

من فكرة وجود الروح إلى خلود الروح

إذا كانت فكرة وجود الروح بوصفها قوة لا مادية ، تمثل عنصر الحياة والحركة فى الجسد قد تلقاها الإنسان البدائى كما قدمنا - من الموت - فإن بلوغ الإنسان البدائى إلى الفكرة التالية الأسمى عن (بقاء الروح) نشأت عنده من الأحلام .

أما كيف كان ذلك فالجواب عنه من البساطة بمكان ، وإلى السائل البيان : لما كان الإنسان البدائى بعد جهده طوال نهاره فى السعى بوسائله القاصرة البدائية للحصول على طعامه وسائر ما يحتاج إليه فى عيشه ، سواء بالصيد أو غيره يغلب عليه كما يغلب علينا اليوم - سلطان النوم - الذى لا يغالب فىنام ، فإنه لا محالة كان فى بعض الأحيان يحلم فى نومه بمثل ما نخلم به ، من الأحلام التى

تمت من قريب أو بعيد إلى حياتنا ، وما يشغل فيها نفوسنا من المخاوف والآمال ،
فيرى ما يرى النائم - على سبيل المثال - فى بعض جولاته العادية أنه قد لقي أناساً
من يعرفهم ، أو ممن لا عهد له بهم ، فدار بينه وبينهم هذا الحديث أو ذاك
بالإشارة أو بعض الكلام ، وانتهى الأمر بما انتهى إليه من سلام أو خصام ، أو
أنه خرج فى إحدى رحلات الصيد البعيدة فى الغابة أو فى الجبال ، فإذا الصيد
غير الذى جاء مستعداً لصيده ، بل هو وحش من الوحوش الضخام شديد
الضراوة ، فنبت له مع ذلك ولم يتراجع ، ولم يزل به يناوشه ويصارع حتى
صرعه ، بما أظهره - فى الحلم - من شجاعة فى القتال تفوق سائر من يعرف من
الرجال ، بل ربما يكون أقى - فى حلمه - من الفعال ما هو فى حكم المحال .

هذه الأحلام أو غيرها كان الإنسان البدائى يحلم بها بطبيعة الحال ، والذى
يعنينا من أحلام الإنسان البدائى ليس أحداثها بقدر ما هى الأحلام نفسها ،
ذلك أنه كلما انتبه من منامه ألقى نفسه مع كل تلك الرحلات فى أحلامه راقداً فى
فراشه لم يفارقه ، فلا غرو أن يكون تفسير ذلك عنده فى كل مرة تتكرر فيها هذه
الظاهرة أنها هى روحه تفارق جسده فى أثناء نومه ، وتنطلق حيث شاءت لتحيا
الحياة التى تشاؤها ثم تعود للجسد .

وعلى أساس هذا التفسير تقررت عند الإنسان البدائى العقيدة بأن الروح
وإن حلت فى الجسد ، فإن لها وجودها المستقل عن الجسد .. وعلى أثرها عقد
الإنسان البدائى المقارنة بين مفارقة الروح للجسد فى الحالتين : حالة نوم الإنسان
وحالة موته ، فبدا له أن الروح تفارق جسد الميت كما تفارق الروح جسد النائم
(على حدّ قولنا إن النوم موت أصغر والموت نوم أكبر) وأن الفارق فى الحالتين
هو أن الروح فى حالة النوم تعود للجسد ، وفى حالة الموت لا تعود للجسد .

حقيقة الإنسان - >

وبذلك يكون الإنسان البدائي بما أودع الله فيه من العقل - وإن يكن لمَّا يزل في طوره البدائي - قد سجل لنفسه على طريقته وصوله إلى الإلمام بحقيقة من الحقائق الكبرى وهي (خلود الروح) .

اعتقاد خلود الروح ينحرف إلى التعبد لأرواح الأجداد

لما كانت روح الإنسان تقيم في جسده طوال حياته ، فقد استقر في تفكير الإنسان البدائي أن هذه الملابس - طالت أو قصرت - تميل بالروح المفارقة إلى الرابطة بالقرب من جسد صاحبها الميت حيث كان بعد المات . ولكنه على الرغم من هذه الفكرة المثالية كان لا يتصور أن تصير روح الميت على هذه السلبية ، فتبقى أكثر الوقت حبسية في القبر بجوار جثته ملازمة لها . وهذه هي أرواح الأموات تغادر مكانها جوار رفات أصحابها ، بعد أيام يتفاوت عددها باختلاف الجماعات وتمضى إلى حيث كانت تحيا معه ، وهناك تهم حول كوخه الذي ربما أيضا كان مسقط رأسه ، وفي هذه الحالة يكون على أرملة وأولاده أن يتوخوا في تلك المواعيد المقررة ترك الباب دون مغاليق تمنع دخول روح فقيدهم للزيارة الموعودة .

وبعد هاتين المرحلتين يكون للأرواح المفارقة أن تستمتع كل واحدة منها بحريتها ، فلا يقتصر غشيانها على الأمكنة التي كانت تغشاها مع جسد صاحبها ، بل تهم في سائر النواحي حيث شاءت في الليل ، لأن النهار يخص الأحياء وحدهم ، ومن أجل هذا كان كل مكان - في الغابة أو في العراء في الطريق العام أو في منعطفاته الضيقة - موعداً لمسرى أرواح الموتى تحت جنح الظلام ، لا تراها الأعين إلا إذا شاءت أن تظهر لهم أطيافها لسبب أو لآخر . وهذه

الأرواح تستطيع أن تتعرض بالخير والشر للأحياء بحسب موقف كل واحد من هؤلاء منها ، قبل الموت وبعده ، فضلا عن إمكان تدخلها في سير الأحداث ، باعتبار أن عدم تقيدها بالجسد يكسبها قوة على مثل هذه الأمور الغريبة ، على الرغم من حاجتها إلى الأحياء في أمور أخرى شخصية سيأتي ذكرها .

لذلك كان الإنسان البدائي يتحرى رضا هذه الأرواح الهائلة لاعتقاده أنها وقد حرمت من الحياة تحسده عليها : تحسده على ما لا يزال ينعم به - دونها - من الحياة المستقرة في بيته مع أفراد أسرته .. تحسده على ملء عينيه بنور الشمس واستمتاعه بدفئها ، وأكله من صيد البر والبحر وما تؤتيه الأرض من ثمرات .. تحسده على اشتراكه - بعد الطعام والشراب - في حلقات الرقص في الساحة وسط جلبة النساء والرجال ، وهم مع رقصهم ينددون ، وقد نسوا من فرط الحبور أنفسهم ببلوغ قمة النشوة ثم ينفرقون ، وقد اصطحب كل رجل زوجته . وتهتدئ لما عند أرواح الموتى من موجدة الحسد للأحياء على كونهم أحياء ، لا يزالون يستمتعون بالحياة من دونهم ، كان على هؤلاء ألا يدعوا لاسترضائهم سبيلا إلا سلوكه ، فالإنسان البدائي في أفريقية الشرقية وفي مدغشقر يبنى لأرواح الموتى خصاصاً من القش ، لتعتصم بها من الرياح والأمطار التي تكثُر في تلك الأصقاع ، وفي بعض البقاع من استراليا وجزائر الأقيانوس توقد بعض النيران بالقرب من مدافن الموتى ، حتى تستدفئ بها أرواح الموتى التي تشكو البرد ، وأمثال ذلك كثير .

ويلاحظ كذلك في المدافن من قديمها إلى حديثها ، أنها غير بعيدة من مساكن الأحياء ، حتى يقوم ذلك دليلا لدى أرواح الموتى على حرص الأحياء على -حوارها ، واستبقاء العلاقة الطيبة بينهم وبينها ، كما يضاف إلى ذلك ما تلتزم به كل أسرة من زيارة موتاه مرة أو أكثر من مرة كل موسم من المواسم في كل

عام ، حاملين إليها معهم أنواع الزاد من الذبائح والخبز والفاكهة فضلاً عن الأزهار ، والأمثلة على ذلك متوفرة منذ ألف السنين في مقابر المصريين . ولا غنى لنا عن التنبيه هنا إلى أن هذا الزاد وهذه الرياحين وغيرها وإن تكن صوراً على الجدران ، أو تماثيل تتحول إلى حقائق حية بقوة الرموز السحرية عند المصرى القديم ، الذى لا يرى مع السحر فرقاً بين الصورة والأصل والذى يلغى إيمانه بخلود الروح المسافة بين الميت والحي .

الاعتقاد في وجود الأرواح يمتد إلى الجمادات

لم يقف الإنسان البدائى من بعد توفيقه إلى اعتقاد خلود الروح عند انحرافه - كما تقدم - إلى التعبد لأرواح الأجداد ، بل طرأ انحراف آخر أبعد أثراً وأطول أمداً ، على اعتقاده الأول (وجود الروح) ، حتى شمل كل ذى حركة في الطبيعة كلها ، وهذا هو كمال نظر حوله في الطبيعة إلى كائنات تتحرك - وما أكثرها - أعتقد أن كل كائن منها مثله يتحرك لأن روحاً تكمن فيه . فالأشجار لا ترتجف أوراقها وتتأيل أغصانها إلا لأن فيها الروح ، والأنهار لا تجري بين الصخور وتناغى الأسماع بنغم الخريف إلا لأن فيها الروح ، وكذلك البحر الواسع الرّحاب الممتد إلى آخر الأفق وهو زاهر اللّجة صاخب عجاج من تلاطم الأمواج ، وأمثال ذلك إلى آخر ما هنالك .

وهكذا ازدحمت الطبيعة حول الإنسان البدائى بالأرواح ، فهناك روح لكل شجرة وأسرة من الأرواح لابد للغابة - ولابد على رأسها من الأرباب - مما يناسب الغاب وثمة روح لكل نهر وأسرة من الأرواح لابد للبحر - ذلك العالم المائى الكبير - ولابد على رأسها رب وربة من الكبار ذوى المكانة . وعلى

هذا المنوال مضى الإنسان يتمثل الأرواح في كل ما يلقاه على وجه الأرض ، حتى انتهى إلى الاعتقاد بأن حركة الحجر المتدحرج من قمة الجبل على السطح تقوم دليلاً على وجود الروح في الجاد ، وكان أروع ما أيد ذلك عنده (جبل النار) ذلك البركان الذى لا يرى فى فته عند الهدوء إلا سحابة من دخان حتى إذا ثار.. إذا هو يقذف ذات اليمين وذات اليسار من قذائف النار ومصهور الأحجار ما يزلزل الأرض وينشر الموت والدمار . بل إن الصحارى الجرد نفسها لا تخلو من كثبان الرمال المتحركة فى مهاب الرياح ، فضلاً عن أن ما يصدر عن تمدد رمالها بحرارة النهار وانكماشها فى برد الليل من التخلخل فى الرمال ينبج عنه حركة انهيار بطيء مستمر ، إذا سمعها الإنسان البدائى توهمها فى سكون الليل وسط القفار همسات أرواح الصحراء .

هذه بعض الظواهر الطبيعية فى الأرض ، أما فى السماء فإن الإنسان البدائى ما يكاد يطمئن إلى صفائها فى هذا اليوم ، أو ذاك حتى تجذب أنظاره قطع متحركة من السحب ، تسرى فى الفضاء متفرقة ثم تتجمع فيكفهر الجو .. وإذا الرياح التى كانت أنساماً لطيفة ناعمة نصير زوابع عاصفة ، تتوابع وتتضارب كالوحوش الضارية ، وفجأة تعلو على أصواتها جلجلة صيحات مروعة تتردد فى الآفاق من أصوات الرعود القاصفة ، بينما تشب فى جوانب السحب الملحمة هنا وهناك ، كألسنه النار تلك البروق الحافظة ذات البريق الذى يخطف الأبصار .

فهل بعد ذلك يبقى عند الإنسان البدائى أدنى شك فى أن السماء أيضاً عامرة كالأرض بالأرواح وأن هذه الأرواح - مثل روحه أحياناً - تأخذها سورة من الغضب ، هى هنا كأشد ما يكون الغضب .

فى هذه الحال وغيرها من الأحوال - ما ذكرناه وما لم نذكره - كانت

تتحرك عند الإنسان البدائي رغبة ملحة لمعرفة السبب .

وكان الزعيم المهيمن على كل جماعة بدائية تأكيداً لسيطرته يعتمد على إيهامهم بما تلقته من أرواح الأجداد ، من المعارف الغيبية الكفيلة بالرد على كل سؤال فضلاً عن القوى السحرية القادرة على شفاء كل داء ورد كل بلاء . ومن ثم كان هذا الزعيم المتطبيب الساحر هو الذى يفسر لهم - بحسب اجتهاده - السبب فى غضب هذا أو ذاك من الآلهة المتمثلة فى العناصر الطبيعية ، ويدلهم قدر سعة حيلته على وسائل استرضائها بالقرابين وأداء الشعائر وغيرها . مع إبداء استعدادده إذا استدعى الأمر إلى إكراهها بما لديه من القوة الفعالة السحرية .

ولم يكن هذا بمانع للزعيم كلما اجتمعت جماعته حوله ، من أن ينسج لهم الأساطير التى يحود بها خياله عن عجائب حياة كل من الآلهة المعبودة ، بما يميز بعضها عن بعض من حيث عظمة سلطانها وجبروتها ، أو براعة ذكائها وسعة حيلتها أو رجاحة عقلها وعمق حكمتها أو روعة محاسنها وسطوة فتنها ، وهذا ما نراه منعكساً بصورة منتظمة مستكملة ومحسنة فى آثار الحضارات الوثنية الأولى وأقدمها حضارة مصر الفرعونية ، ومن بعدها الهند ، ثم اليونان التى حفظت لنا ملحة (الإلياذة) عبر القرون أساطيرها الجميلة .

واعتماداً على تلك الأساطير ، يكون ما تعبد له الإنسان البدائي من رموز القوى الطبيعية متمثلاً فى قوتين : أولاهما : قوة أرضية والأخرى سماوية .. وتتمثل الأولى فى (أمتنا الأرض) بما يمثله رمزها عند الإنسان البدائي من قوة الإخصاب الخلاقة .. فى كل ما تنبته بطنها من نبات يعيش عليه الأحياء .. وكل ما ينتجه الأحياء على ظهرها من حيوان وإنسان - وتتمثل القوة الثانية فى الأجرام السماوية ، وهى بالليل كالمصابيح المضيئة لا عدد لها ، من بينها

الكواكب السيارة التي عرفت الحضارات القديمة لكل كوكب منها مساره المحدود .. متنقلاً بين البروج لا يخطئ المواعيد حتى زعم الأولون ومنهم الإنسان البدائي - أنها تجرى لهم بالنحوس والسعود .

أما الشمس أعظم الأجرام السماوية ، فقد عرف فيها الإنسان البدائي المركز الأكبر المشع للنور الذي يهدى والحرارة التي تحيي ، فجعلها - لا محالة - على رأس القوى الطبيعية المعبودة كلها ومن ثم كانت عبادة الشمس أقدم العبادات في مصر صاحبة أقدم الحضارات .

وهذه القوى الطبيعية كلها التي كانت كما تقدم بنا - بمثابة (الأرواح) عند الإنسان البدائي - جاء بعد ألوف السنين في القرن الرابع قبل مولد المسيح كبير فلاسفة اليونان أفلاطون فوجدتها فيما أسماه Amma Mundi أى روح الكون . وخاتمة القول أن من حق الإنسان البدائي علينا وهو في طوره الحضارى الأول ، أن نترك جانباً ما طرأ عنده على فكرة الروح من الانحرافات ، حين ضلّ الطريق ، وأن نجعل موقفنا عندما أصابه من التوفيق حين استكشف على طريقته أن جسمه المادى لا يقوم بذاته ، بل تحركه قوة خفية لا مادية ، فكانت فكرته الأولى عن (وجود الروح) ثم استكشف على طريقة له أخرى - أن هذه الروح التي هي جوهر لا مادية لا تهلك مع الجسد ، بل هي خالدة أبد الدهر ، فكانت فكرته عن خلود الروح ، وأيا كان نصيب هاتين الفكرتين من الموافقة عندنا أو عدم الموافقة ، فإن البشرية كلها قد وقع اتفاقها - مع كل ما بين الناس من خلاقات - على جوهر هذه الحقيقة - (وجود الروح وخلودها) التي تعتبر لا محالة في صورتها الدينية الكاملة من الحقائق الكبرى .

والواقع أن الإنسان البدائي قد نجح بالقياس إلى المرحلة التي كان فيها ، بين أواخر البدائية وأوائل الحضارية ، فما كان له أن يلمّ بأكبر مما أَلَمَّ ، ولا كان له

بعد التوفيق ألا يضل الطريق كما ضل .

فالحقائق الكبرى في صورتها الدينية الكاملة ، إنما ينهض بحملها إلى البشر أصحاب الأديان من الرسل والنبين - الذين اصطفاهم لذلك رب العالمين ، ولكن إيماننا بالإنسان الذى خصه الله عن الحيوان بالجذوة المقدسة المستمدة من القبس الإلهى المسمى بالعقل .. ذلك الإيمان هو الذى حدانا إلى محاولة اجتياز ظلمات ذلك الماضى السحيق ، فى محاولة غير يائسة لبدء موضوعنا من البداية متدرجاً مع العقل المترقى ، حتى نقف عندما نحن عليه من العلم بالروح (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) .

الروح عند الفراعنة

تزخر النصوص المصرية القديمة بعقيدة المصرى القديم فى بدء الخلق ، وكيف حدث الخلق^(٦) ، وهناك مدارس دينية عديدة لكل منها مذهبها الخاص ، ولكن أهم هذه المدارس هى مدرسة (منف) ، التى جعلت (بتاح) العظيم هو الخالق ، وطريقته فى الخلق تلخص فى أن (بتاح) العظيم هو قلب الآلهة ولسانهم ، ويعنى ذلك أن (القلب) هو العقل أو الفهم فى حين أن اللسان هو رمز النطق ، والنطق هو الكلمة وفى الكلمة (الخلق) .

وهم يقولون فى ذلك إن (بتاح) هو القلب فى كل صدر ، وهو اللسان فى كل فم ، سواء فى ذلك جميع الآلهة وجميع النامس وجميع الماشية وجميع الزواحف وسائر الأحياء ، إن بتاح يفكر فيما يشاء ويأمر بما يريد ، إن الآلهة هى صور لبتاح ، وهى التى أوجدت بصر العين وسمع الأذن وتنفس الأنف لتصل

(٦) من مقال للدكتور/ عبد المنعم بكر بمجلة الهلال العدد ١١ نوفمبر ١٩٧١ .

جميعاً إلى القلب ، والقلب هو الذى يصدر كل قرار ، واللسان هو الذى يعلن فكر القلب ، إن كل كلمة مقدسة خرجت إلى الوجود عن طريق ما ، فكرة القلب ونطق بها اللسان .

وإذا أردنا التعرف على حياة الناس ، وما هى عناصر هذه الحياة ومقوماتها ، سنجد أيضاً أن المصرى القديم قد ترك الكثير من النصوص التى تفسر لنا عقيدته فى ذلك ، ولو أننا نعترف أن هذه النصوص تحوى فى كثير من الأحيان غموضاً دفع العلماء إلى كثير من الجدل والاختلاف فى الرأى .

إن عملية الخلق المادى للإنسان تسند عادة إلى الإله (خنوم) ، فهو الذى يشكل الإنسان من طين وعصافه تماماً كما يشكل الإنسان آتيته الفخارية ، ولذلك صوّروا (خنوم) جالساً أمام عجلة الفخارى ، يقوم بتشكيل الإنسان ، أى يخلقه خلقاً مادياً وبعد ذلك يقوم بتشكيل جُسم آخر ، هو ما أطلق المصريون عليه اسم (كا) ، ثم تنفث الآلهة (حفت) التى (صورها المصرى برأس ضفدع وجسم أنثى) روح الحياة فى هذين التمثالين الفخاريين ، وهكذا يتم الخلق . ولقد رمز المصرى القديم إلى روح الحياة بعلامة (عنخ) ، التى نتعارف على تسميتها (مفتاح الحياة) .

إلا أن المصرى منذ أخذ بفكرة الخلود بعد الموت ، بدأ يكوّن لنفسه صورة لطبيعة الإنسان كمخلوق حى ، لا يلبث أن يموت ، ويطلب لنفسه سعادة دائمة فى حياة خالدة تعقب الموت ، والواقع أنه لا يوجد شعب قديم أو حديث بين شعوب العالم احتلت فى نفسه فكرة الحياة بعد الموت المكانة العظيمة التى احتلتها فى نفس الشعب المصرى القديم ، ولا يمكن تفسير هذه الظاهرة إلا على أساس أن الناس الذين استقروا فى وادى النيل الأسفل (أى فى مصر) ، قد نعموا بحياتهم وسعدوا بها إلى درجة جعلتهم يحاولون جاهدين الإبقاء عليها حتى بعد الموت

من البلى ، إلى درجة لا تتوفر في بقعة أخرى من بقاع العالم ، هذا مع العلم أن المصرى باستمرار كان يختار جباناته (مقابره) في بطن الصحراء ، بعيداً عن الأرض المزروعة التي كان النيل يغطيها بمياه فيضانه مرة كل عام ، ولدة تزيد على ثلاثة أشهر ، ولا بد أن حالة الحفظ التامة للأجساد البشرية ، التي كان المصرى الأول يكشف عنها في كل مرة يقوم فيها بحفر قبر جديد ، قد زادت اعتقاده في بقاء تلك الجثث البشرية إلى الأبد ، وألهبت خياله بتصورات مختلفة عن عالم الموت ، وأخذ يعتقد في أن الموت ليس إلا صورة من صور الحياة ، يفقد الإنسان فيها مقومات الحركة فقط ، ومن ثم نراه يتصور أن الموت لا يصيب إلا الجسد الخارجى ، في حين تبقى عناصر أخرى هي التي تتمتع بالحياة في دنيا ما بعد الموت .

وأهم ما ذكرته النصوص من عناصر الإنسان ومقوماته هي :

- ١ - جسم مادي (خت) : صندوق يحوى عناصر ستبقى بعد الموت .
- ٢ - الروح (با) .
- ٣ - القرين (كا) : النفس أو النفسية .
- ٤ - نورانية تنكشف في الآخرة (آخ) .
- ٥ - قلب مدرك (أيب) .
- ٦ - اسم شخصى (رن) .

١ - ويقول (بتاح حوتب) من الأسرة الخامسة عن طبيعة الجسد وهو يعظ ابنه : إن العاقل هو الذى لا يستمع إلى نداء الجسد ، - وإذا ضل القلب وأطاع نداء جسده فإنه يكون قد أحل صغاره محل حبه ، ويصبح عقله تعساً ويسود وجهه بما جرّته عليه نفسه ، أما من اتبع نداء الرب فقد عزّت نفسه ، والقلب لا يشعر بالدفء إلا من فضل الرب وحده ، ومن أطاع جسده كان

عدوّ نفسه . (فالجسد يعبر عن الجسد المادى وما يحويه من شهوة وشور) .
٢ - و (البا) هى العنصر الذى نترجمه تجاوزاً (الروح) ، ولا يرد ذكره مطلقاً إلا فى الرسوم على جدران المقابر وتواييت الموتى ، وقد صورته المصرى القديم على شكل طائر له رأس إنسان وذراعا ، وتراه يرفرف على مومياء صاحبه فى تابوتها ، وهو يقدم لأنفها صورة شراع منشور ، وهو الرمز المصرى (للهواء) ، ويحمل فى يده الأخرى علامة (عنخ) أى الحياة ، ومن الملاحظ أن (البا) لا تظهر إلا عند موت الإنسان ، وكل النصوص المصرية تنص على محاولة جعل المتوفى (با) عند موته . ونرى الكاهن الجنائزى يخاطب المتوفى الذى يرقد فى تابوته قائلا :

إن عظامك لا تنفى ولحمك لن يبلى وأعضاءك ليست بعيدة عنك : إن آلهة السماء تعيد لك رأسك ثانية ، وتجمع لك أعضاءك ثانية وتحضر قلبك لجسمك ثانية ، قم لخبزك هذا الذى لم يحف وجعتك التى لن تفسد . إذ بهما تصبح (با) .

٣ - (الكا) : إذا اعتمدنا على النصوص ذات الطبيعة الدنيوية مثل التراجم الخاصة والتعاليم الخلقية والأسماء الشخصية ، نجد أن المعنى لا يستقيم إلا إذا ترجمنا (الكا) على أنها النفس أو النفسية ، وبتاح حوتب حين ينصح ابنه يقصد (بالكا) نفسية الشخص الحى (لا تتبر) وقت متعتك فكرية على (الكا) - أى النفس - إفساد وقت متعتها . و (إذا تقاعد المرء على أن يرضى خلصاءه قال الناس هو (كا) أنانية أى هو نفس أنانية) . كذلك فإن الأسماء الفرعونية (كا وعب) تعنى نفسا طاهرة و (كامنخ) أى نفسا فاضلة و (ميريوكا) بمعنى محبوب النفس . وقد عبر المصريون عن (الكا) بصورة ذراعين مرفوعتين إلى أعلى ، ونحن نجد من بين نصوص مذهب (هليوبوليس)

التي تتحدث عن الخلق الأول الذى قام به (آتوم) : (آتوم الذى أوجد نفسه بنفسه ، وعاش فريداً أمداً بعيداً حتى ذراً من نفسه ذكراً وأنثى ، ثم مد ذراعيه حولها (أحاطها بساعديه) بمقدرة (الكا) . واعتقد المصريون أن (الكا) تبقى في جسم صاحبها مادام حياً فهي تولد معه وتعيش معه .

وفي اعتقادنا أن هذا التصور لا يزال باقياً عندنا حتى الآن . فعندما يجرى طفل ويقع على الأرض نجد أمه تسارع إليه قائلة : (اسم الله عليك وعلى أختك الى أحسن منك ..) فإن كانت ترى أن الطفل لم يصب بسوء إلا أنها تخشى أن تكون الأخت (الكا) قد أصيبت بأذى . وقد يما اعتقد المصرى أن (الكا) ستفصل عن الجسد فوراً بعد الموت ، ولكنها ستبقى بجانبه وهى العنصر الذى سيعيش إلى الأبد ، إلا أن هناك ضمانات متعددة تتحكم فى نوعية هذه الحياة ومدى السعادة التى ستزف على (الكا) ومن هذه الضمانات :

- (أ) تخنيط الجثة حتى تحتفظ بصورتها الدنيوية لتتعرّف عليها (الكا) .
- (ب) المقبرة تجهز بحجرة دفن تحتوى تابوتاً ضخماً من الحجارة للمحافظة على الجثة ، وسميت المقبرة عند المصريين (منزل الأبدية للكا) .
- (ج) تكديس المأكّل والمشرب والأثاث .
- (د) إقامة تماثيل تعرف باسم تماثيل (الكا) لكى تتجسدها عند تقدمة القربان .

(هـ) وقف مساحات شاسعة من الأرض المزروعة لصرفها أو ريعها على تقدمة القربان ، ومن الطريف أن المصريين القدماء تخيلوا وجود جنة سماوية ، إلا أنها كانت طوال عصر الدولة القديمة وقفاً على الملوك .

- ٤- (الآخ) : عنصر معنوى بحث يعبر عن فضائل كثيرة (البهاء - الجلال - الصلاح - النبل - القداسة) ... (الآخ للسماء والجسد للأرض) .

ولقد وصف أحد فصول كتاب الموتى (بردية آتى) نعيم الآخرة بصفات معنوية ، كما صور الفارق الكبير بين ظلمة المقبرة فى باطن الأرض ووحشتها ، وبين راحة النفس التى تنتظر الصالحين فيها (حقاً إنها بغير ماء ولا هواء) ، عميقة مظلمة وقصية لا حد لها ولا نهاية ، ومع ذلك فيعيش الصالح فيها سعيد النفس ، فهى أرض لن تمارس فيها شهوات الجنس ، ويصبح الإنسان فيها (آخا) لا يحتاج إلى ماء ولا هواء ولا متعة الجنس ، ويوهب فيها راحة القلب بدلا من الطعام والشراب .

٥ - (الآيب) القلب : عضو مَادى فى الجسم كذلك عبر به عن معانى العقل والضمير والإرادة والوجدان .. (إن قلب الإنسان هو حياته ونعيمه وسلامته) و (أن ما تراه العينان وتسمعه الأذنان ويشمه الأنف يرقى جميعه إلى القلب) .

والقلب هو الشاهد الذى يعتمد القاضى الأكبر (أوزوريس) على أقواله فيحكم على صاحبه ، إما بدخوله الجنة أو إلقائه فى النار ، واعتادوا تصوير القلب فى كفة الميزان وريشة العدالة فى كفته الأخرى ، ومن زادت أعماله الحسنة كان هو الذى يدخل جنة (أوزوريس) .

٦ - (الاسم : رن) : اعتبر المصرى القديم اسمه الشخصى جزءاً هاماً من كيانه ، يتميز به فى دنياه ويتأكد به خلوده وسعادته فى أخره ، فاهتم بتخليد اسمه على آثاره حتى يردده الأحياء بعد وفاته .. واعتقد أن ما يلحق باسمه من شر يلحق أيضاً بصاحبه .. وأن الإنسان يستطيع الإضرار بأعدائه أحياء كانوا أو موتى ، عن طريق الإضرار بأسمائهم بالحو أو بالسحر . فقد كان الاسم من أهم عناصر صاحبه ، حتى أن (تحوتس الثالث) عندما أراد الانتقام من (حتشبسوت) محاسبها من فوق جميع آثارها .. وكذلك صنع إخناتون عندما أراد أن يتقم من آمون ..

خلاصة القول عن

الحياة الآخرة والنفس عند الفراعنة^(٧)

لعل أروع ما في العقيدة المصرية القديمة ، اعتقادهم الحياة الآخرة ، وأنها الباقية بعد هذه الدنيا الفانية . فقد كانت هذه الدنيا في نظرهم فترة قصيرة ، وبعدها حياة لها أمد غير محدود . بل إنَّ دنيانا ليست إلّا ممراً إلى ذلك الخلود ، وقد قام اعتقادهم بالحياة الآجلة بعد هذه العاجلة على أساسين .

أحدهما : إن هذه الدنيا معترك يتنازع فيه الشر والخير والبر والفاجر ، وكثيراً ما نرى في هذا المعترك الشر يتصر على الخير . والفساق على الأبرار . فلو لم يكن هناك يوم كله للخير . وكله على الشر ، يحاسب المسيء على إساءته ويكافأ المحسن بإحسانه ما استقام العدل الإلهي . فمن العدالة الإلهية إذن أن يكون يوم آخر ، يكون للأبرار على الفجار ، وللأطهار لا للأشرار ، وأن تكون الحياة الباقية ليتصر فيها الخير ، ويتصف فيها من الشر .

ثانيهما : اعتقادهم في النفس الإنسانية فهم يعتقدون وجود نفس تفصل عن الجسم ، وإن كانت تحلّ فيه . وأن تلك النفس ذات أربع شعب : إحداهما : الروح وهي أساس القوى في الإنسان .

والثانية : العقل والإرادة .

والثالثة : صورة من الأثير أو مادة أدق على هيئة الجسم تماماً .

والرابعة : الجوهر الخالد السامي الذي يشترك فيه الإنسان مع الآلهة ، وهو

(٧) عن كتاب مقارنات الأديان - الديانات القديمة - الشيخ محمد أبو زهرة - دار الفكر العربي .

سرّ الوجود والعلوّ . وهذه الشعبة من شعب النفس متصلة بعالم الآلهة ما دام الإنسان على قيد الحياة ، فإذا مات اتّصلت به اتّصالاً وثيقاً فأما الروح فهي التي تظل تتردد على الإنسان في قبره إلى أن يجتاز الحساب . ويصل إلى مرتبة الثواب . وعندئذ تعود إليه فيشعر بما يشعر به الأحياء .

ولقد كانوا يعتقدون أن النفس لا تعيش إلا إذا كان الجسم سليماً ، وسلامته هي التي تجعله صالحاً لعودة الروح إليه بعد أن فارقت بالموت ، ولذا بذلوا أقصى الجهد في سبيل المحافظة على الجسم . وجعله صالحاً لحلول النفس فيه بعد الموت . وقد بعث ذلك فيهم الحيلة لأن يخترعوا تحنيط الموتى وبقاء المومياء على هيئة من التماسك وعدم التحلل لكي تعود النفس إلى غلافها . ولقد اجتهدوا مع ذلك في إقامة تماثيل للموتى تشبه أجسامهم تمام الشبه . لكي تحل فيها النفس إن كان الجسد غير صالح . وقد عدّوا التماثيل للميت الواحد ، لأنه عسى أن يكون أحدهما غير صالح فيكون الآخر صالحاً ، ولكي تكون الروح في فسحة من الأماكن ، فتنتقل من هذا إلى ذاك .

وكانوا يعتقدون أيضاً أن الميت أو روحه في العالم الآخر يحتاج إلى ما يحتاج إليه الأحياء في هذه الدنيا من طعام وشراب . وأن ما يقدم من ذلك في الدنيا قريباً على أرواح الأموات يفيدهم في الآخرة . ولذلك تكون روح الميت في أشد الألم إذا لم تقدم القربين من طعام وشراب ، وما إلى ذلك من مطاعم الأحياء في الدنيا .

ولهذه المعاني والخواص التي وصفوا النفس الإنسانية بها ، وللعدالة الإلهية التي تسود الأكوان ، اعتقد قدماء المصريين أنه لا بد من حياة أخرى فيها النعيم المقيم للأخيار ، والعذاب الأليم للأشرار ، ثم إنه قبل أن يصل الميت إلى الثواب أو العقاب لا بد من الحساب ، والحساب يكون أمام محكمة تتألف من اثنين

وأربعين قاضياً يرأسها (أوزيريس) نفسه ، وتسأل المحكمة الشخص عما قدم من خير ، وما قدمت يده من شر . وقد خاض المؤرخون في بيان الفضائل التي كانت تعد فضائل في نظر المصريين في هذا المقام ، وقوام هذه الفضائل سلبى ، دعامته عدم إلحاق الأذى والضرر بغيره من الناس ، وإيجابى دعامته نفع الناس وإطعام القانع والمعتز ، وإذا انتهى الحساب أمر المحاسب أن يمر على الصراط ، وهو طريق ممدود فوق الجحيم ، فإذا اجتازه الشخص نجح وارتقى إلى مرتبة الآلهة ، وإذا سقط من فوقه انتهى إلى واد فيه الأفاعى والحيات التي تتولى عقابه بقسوة ، حتى ينال الجزاء الأوفى على ما قدمت يده .

ونرى من هذا أن الأبرار من الأموات يرتفعون إلى مرتبة الآلهة ، ولهذا سرى عندهم عبادة الموتى ، وأضافوا إليهم صفات الألوهية وخواصها في نظرهم ، بل إنهم كانوا يعتقدون أن أرواح موتاهم تتصل بعالم الأحياء وتنبئهم بأسرار المستقبل ، فتحذرهم مما عساه يكون في سبيلهم من أخطار ، وتبشرهم بما عساه ينالهم من خير ، وقد ملئت أساطيرهم بشيء كثير مما يؤيد اعتقادهم فيما يزعمون .

كتاب الموتى :

- هو كتاب مشتمل على آداب وفضائل ، وعلى ما تلقته الروح لتحسن الإجابة أمام محكمة الحساب ، وهو يعد الكتاب الأعلى عند قدماء المصريين . يتعبدون بتلاوته وهم أحياء ، ويوضع معهم في قبورهم وهم أموات يزعمون أن أحد الآلهة قد كتبه بيده ، وقد جاء عن منزلة الكتاب في أحد أبوابه « أن الكتاب يعلى شأن الميت في أحضان (رع) ، ويحبوه السَّبَق لدى (توم) ، ويجعله عظيماً لدى (أوزيريس) ، ومرهوب الجانب لدى الآلهة . وكل ميت وضع له

هذا الكتاب تخرج روحه نهاراً مع الأحياء ، وتصعد إلى الآلهة ، ولا يعترضها عارض من أحد ، تدنيه الآلهة منها ، وتلمسه لأنه شبهها ، ويقفه هذا الكتاب على ما حدث منذ البدء . هذا الكتاب خفى . وهو حق لم يعلم به أحد . إنه ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت . إنه لا يراه أحد سواك . ومن علمك إياه فلا تزد عليه شيئاً من خواطرك وخيالك . بل قم بما يدعوك إليه وسط بهو التحنيط . إنه لا يصل إليه عامى . إنه غذاء الميت فى عالم الدنيا . وقوت روحه فى الأرض ، يجعله حياً دائماً فلا يعلو عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء .

والكتاب مشتمل على جميع الكلمات السحرية التى تستعمل لعلاج الأمراض ، ويشتمل على الصلوات والأدعية ، وعلى ما يجب للميت من تحنيط ، وطقوس دينية ، ويحكى ما يقوله الميت الذى أقيمت له الطقوس التى يدعو إليها الكتاب ، فيقول « عندئذ يقول : نحية لك يا أبى أوزيريس لقد حنطت لحومى هذه ، ولن يتحلل جسمى ، فأنا كامل غير محسوس مقتدياً بك يا أبى أوزيريس ، حبذا الإله فى صورة رجل لا يتحلل جسمه .

وفى الكتاب فصل قيّم بما ينبغى أن تقوله الروح أمام محكمة الآلهة فى اليوم الآخر ، وقد سمّاه شامبليون اعترافاً سلبياً ، وإليك بعضه : « يا سادة الحقيقة ، إننى حامل الحقيقة ، إننى لم أكن أحداً ، ولم أعُدُّ بأحد ، ولم أجعل أحداً من ذوى قرابتي فى ضنك ، ولم أقم يدنيّة فى موئل الحقيقة ، ولم أمازج عملي بشرّ قط ، وجافيت الضرّ والأذى ، ولم أعمل باعتبارى رئيس أسرة ما ليس من عمل ربها ، ولم أكن سبباً فى خوف خائف ، ولا إغواز معوز ، ولا ألم متألم ، ولا بؤس بائس ، لم أقدم على ما لا يليق بالآلهة فلم أجمع أحداً ، ولم أبلّك أحداً ، ولم أقتل نفساً ، وما حرّضت أحداً على قتل أو خيانة ، ولم أكذب . ولم أسلب المعابد ذخائرها ، ولا المومياء طعامها . ولم أرتكب أمراً لا يليق مع كاهن

فى كهنوته . ولم أغل فى الأسعار ، ولم أطفف الكيل والميزان . ولم أسرق الماشية من مرعاها ، ولم أطفئ الشعلة فى ساعتها . ولم أخدع الآلهة فى قرايينها المختارة . فأنا نقى ، أنا نقى ، أنا نقى » .

وجاء فى الكتاب أيضاً ما تقوله المحكمة عن الميت الذى تركه أعماله « ليس فيه شر ولا خطيئة ولا فساد ولا دنس ، وليس عليه اتهام . ولا فى أعماله ما يثير الاعتراض ، فقد عاش من الحق وتغذى بالحق ، وإن فعّاله لتشرح الصدور ، وهى مما يطلبه الرجال ، ويسر الآلهة ، وقد أخلص للآلهة محبته . وأعطى الخبز من كان خاوياً ، والماء من كان صادياً ، واللباس من كان عارياً . وأعار الزورق لمن ليس عنده » .

ويقول جوستاف لوبون^(٨) فى التعليق على هذا الكلام : « ألا يظن من يقرأ هذا الكلام أنه يسمع صوت قرون سحيقة ، تتكلم من قبل بوذا والمسيح ، معلنة قانونها اللطيف للإحسان والنفع العام » .

وفى الحق أنه مهما تكن فى الديانة المصرية القديمة من أوهام وعقائد فاسدة ، ولا تستمد من المنطق قوتها . فإن الآداب التى اشتملت عليها والفضائل التى تدعو إليها . خصوصاً الجانب السلبى منها . كانت معيناً خصباً ، قبست منه الديانات غير المتزلة وحكمة الحكماء شيئاً كثيراً . لأنها لم تخل من خير يقتبس وحكمة تقتنص . ولله فى خلقه شؤون .

(٨) مؤلف كتاب : مقدمة الحضارات الأولى .

الروح عند الهندوس (٩)

فى آسيا يعلم الناس الكثير عن الروح ، وعن عالم الروح ، وعن إمكان الاتصال بين عالمى الروح والمادة . ويعتبر أقدم الديانات فى العالم أجمع الآن هى الديانة الفيدية ، وهى الشكل الفطرى الأول للدين الهندوسى المأخوذ عن كتب الإله «فيدا Vedas» الأربعة المكتوبة باللغة السنسكريتية ، والمنسوبة إلى وحى نزل من السماء على براهما . وهذه الكتب هى ساما ، ورج ، وياجور ، وأثارفا . وتشرح الفيدات طبيعة براهما الإله الخالق الذى هو «أتما» أو النفس الخالدة فى الإنسان ، وتصور الكون كنسيج متطور مع كيان الله ، كما تجعل امتزاج الفرد مع الله صورة لامتزاج النفس مع الروح .

والفيدتنا تلخص الفيدات الأربعة ، وقد أعجبت كثيراً من مفكرى الغرب وفلاسفته . وقد وصفها المؤرخ فكتور كوسان قائلاً : «إننا حينما نطالع يامعان فلسفة الشرق - وخصوصاً الهندية منها - فإننا نقف على كثير من الحقائق العويصة التى تكرهنا على أن ننحنى إجلالاً للفلسفة الشرقية ، ونرى فى هذا المهذ للجنس البشرى موطناً لأسمى ضروب الفلسفة ...» كما يقول فيها شبيجل : «إن أسمى فلسفة أوروبية وهى مثالية التفكير ، كما وضعها الإغريق تبدو - متى قورنت بالحياة والنشاط الزاخرين للفلسفة الشرقية المثالية - كبصيص ضوء مقابل فيض كامل من ضوء الشمس ..» .

وهى مؤسسة على عقيدة خلود الروح ، والعودة إلى التجسد أو رجعة

(٩) الإنسان روح لا جسد للدكتور رموف عبيد .

الروح ، والإيمان بإله واحد ، وبالسماء التى تصعد إليها الأرواح الصالحة فيتلقاها « ياما » الذى يرفعها إلى الجنة حيث تنعم بكل اللذائذ الأرضية التى تكون قد اكتملت وأصبحت أبدية . وقد وصف أحد هذه الكتب السماء الفيدية بأنها « المقام المقدس والمقر النهائى للآلهة الخالدة ، وموطن الضوء الخالد الذى هو الأصل ، والقاعدة فى كل ما هو كائن . وحيث تتحقق الرغبات بمجرد أن تنشأ » . وهذا الوصف هو تقريباً ما تصف به الكتب الروحية الحديثة عالم الأثير ، مع أن كتب فيدا هذه تتجاوز فى قدمها حتى تاريخ الفراعنة الأقدمين ، مما يحمل على الاعتقاد بأن وسطاء الهندوس ، قد تلقوها بدورهم عن طريق الإلهام من أرواح راقية ، نقيم فى عالم الأثير بحسب الوصف الحديث .

والديانة البرهمية غاصة بالحقائق الصحيحة الكثيرة فى حياتها الأرضية والسمائية ، وبالنصائح الخلقية التى يؤدى اتباعها إلى خلاص الروح فى حياتها معاً ، وإلى استحقاق النعيم فى عالم الملكوت ، كما تؤمن بأن الروح الإنسانية نفحة إلهية ، وأن الموت يعطى الروح جسداً شفافاً نورانياً ينتقل إلى الملائ الأعلى ، وأن هذا الجسد وإن كان مادياً فى مظهره ، إلا أنه من طبيعة غير ترابية ، بل أرق من أجسادنا الفانية ، وفى علم الروح الحديث ما يتفق مع هذه المعانى أيضاً . وتؤمن المذاهب السائدة فى البوذية بوجود جنات حول جبل « ميرو » الذى سفحه من الذهب المرصع بالأحجار الكريمة ، ومقسم إلى عدة طبقات ، فى كل طبقة أهلها من الصالحين على حسب درجاتهم ، وفوقها جنات أخرى كثيرة ، حتى تنتهى إلى جنة علوية فى السماء ، يحيا فيها الأبرار فى سعادة مطلقة .

يعد مذهب اليوجا الهندى بوجه خاص من المذاهب الشرقية الهامة فى الفهم

العميق للروح ، إلى حد أنه يثير دائماً اهتمام الباحثين الروحيين في الغرب والشرق عند معالجة موضوع الأرواح . والإيمان بالروح وبالخلود يبلغ ذروته عند أتباع هذا المذهب بوجه خاص ، بما يستتبعه الإيمان من وجوب اتباع أنظمة صارمة من الزهد والتقشف وضبط النفس ، للوصول إلى المواهب الروحية القوية ، حتى أن جبايرة الروح في الهند ممن يحققون الخوارق الواسطية التي تحير ألباب علماء الغرب ، يكتثرون عادة من أتباع هذا المذهب ، الذين لا يصرفهم شيء من أعراض الدنيا الزائلة عن مشاغلهم الروحية .

ويروى المؤرخون أن الإسكندر الأكبر عندما ذهب إلى الهند فاتحاً ، أراد عندما وصل إلى تاكسلا بشمال الهند أن يرى (دندامس) المعلم اليوجي الهندي العظيم ، فبعث إليه (أونسكريتوس) أحد طلبة مدرسة (ديوجينيس) الإغريقية ليأتيه به . وقال (أونسكريتوس) بعد أن عثر على (دندامس) في مخبئه في إحدى الغابات « تحية وسلاماً ، أي معلم البراهمة .. إن الإسكندر ابن الإله العظيم (زفس) ، وسيد الخلق أجمعين ، يطلب منك أن تذهب إليه . فإن فعلت أجزل لك العطاء ، ولكن الويل لك إن أبيت فسوف تدفع رأسك ثمناً لهذا الإباء » .

وتلقى الحكيم اليوجي هذه الدعوة الإرهابية برباطة جأش ورد عليها ردّاً طويلاً ساخراً تقتطف منه ما يلي : « إن الإسكندر ليس إلهاً ، إذ هو لا بد ذائق الموت ، وكيف يكون مثله سيداً للكون في حين أنه لم يترجع بعد على عرش السلطان الداخلي ، ولم يدخل للآن حياً إلى الهاوية ، ولا يعلم سير الشمس في أقطار الأرض الوسطى ، ولم تسمع الدول المتاخمة ولو قدراً يسيراً عن اسمه ؟ » ..

ثم استطرد الحكيم الهندوسي قائلاً « وإذا أطاح الإسكندر برأسى فلن يقوى

على تحطيم نفسى . ورأسى الذى يصمت سوف يبقى ويخلف الجسد كدواء ممزق على الأرض التى جبل منها . وكروح أصعد حينئذ إلى الله الذى سَوَّانا جسداً . ووضعنا على هذه الأرض لكي نثبت له فى وجودنا عليها ما إذا كنا نحيا فى طاعته ، والذى يتطلب منا حينما نقف أمامه أن نقدم حساباً عن أعمالنا ، إذ أنه ديان جميع المعاصى ، كما أن آثام المظلوم ستصبح عقاباً للظالم .

دع الإسكندر يهرب بهذا الوعيد أولئك الذين يطمعون فى الثراء أو يخشون الموت ، اللذين هما سلاحان مفلولان بالنسبة لى . فالبرهميون لا يتعشقون الذهب ولا يهربون الردى . اذهب وقل للإسكندر : إن (دندامس) ليس بحاجة إلى شيء من مالك ، وبالتالي يرفض أن يحمى إليك . أما إذا كنت فى حاجة إلى (دندامس) فتعال أنت إليه .

وتلقى الإسكندر بانتباه عميق جواب اليجى على لسان (أونسكريتوس) وأحسنَ برغبة متزايدة فى رؤية (دندامس) الذى كان برغم عريه وتقدمه فى السن الخضم الوحيد الذى وجد فيه مدوخ الأمصار ندّاً حقيقياً^(١٠) ، وهو فى الواقع الروحي أكثر من ند بكثير .

وعموماً فهناك مبادئ ثلاثة تؤثر أعمق الأثر فى العقلية الهندية^(١١) :

المبدأ الأول : تجوال الأرواح : فالهندو يعتقدون أن الأرواح جائلة منتقلة فى أطوار شتى من الوجود ، وفى طريقها إلى هدفها الأخير تنتقل من جسد إلى جسد سواء أكان إنساناً أم حيواناً - وهذا المبدأ يعرف عادة بتناسخ الأرواح .

(١٠) « فلسفة الهند فى سيرة يوجى » للحكيم برهنسا يوجا نندا ترجمة الأستاذ زكى عوض المحامى

٤١٢ - ٤١٤ .

(١١) عن كتاب : مقدمة فى أصول النظم الاجتماعية والسياسية للدكتور أحمد عبد القادر الجبال طعة

أولى سنة ١٩٥٧ - مع بعض التصرف .

المبدأ الثاني : الأعمال : يعد هذا المبدأ متمماً لمبدأ تجوال الأرواح . وهو لا يعلل فقط حقيقة أدوار الميلاد المتكررة التي تنتقل فيها الأرواح ، بل يبين أيضاً شرائط هذا الميلاد وما يستتبع ذلك من عدم المساواة الصارخة في المصير البشرى . يقوم هذا المبدأ على أن كل عمل يأتيه الإنسان له ثمرته حتماً ، وأن كل شيء يقابله الإنسان في كل طور من أطوار الوجود المتكررة تقرره الأعمال التي يأتيها في الوجود السابق وهي بمثابة كفارة .

وقد عرف الهنود الآريون كما عرف العبرانيون فيما بعد ، أن الجزاء في هذه الحياة الحاضرة لا ينسجم مع الإنسان وأخلاقه ومولده وثورته وسعادته وآلامه - كلها - جاع الجزاء الذي تستحقه أعماله التي أتاها في وجود سابق صالحة كانت أو شريرة .

المبدأ الثالث : الانطلاق : ومعناها محاولة النفس الإفلات من دورات تجوالها ونتائج أعمالها ، فالحياة الشخصية في عرف القوم شروخداع ، أما الحياة الحرة فهي استجلاء طلعة : (براهما) التي لا تكتسب إلا بالاندماج فيه . وهدف الحياة الأسمى هو الانطلاق من دورات الوجود المتوالية والاندماج في الكائن الأسمى .

الروح عند الصين واليابان^(١٢) - الكونفوشيوسية والبوذية

وهذين الشعبين يختلفان عن الشعب الهندي في النظر إلى مسألة الروح ، فالهندي يتميز بالانغماس في الأشياء الروحية والتفكير العميق في الله ، فالدين هو الذي يُشرع في الهند ، أما في الصين واليابان فإن العقل هو الذي يشرع لها ،

(١٢) المصدر السابق .

فالأديان الثلاثة الشائعة عندهما هي الكونفوشيوسية والبوذية والتأوذية .. وقد يعتنق الفرد الأديان الثلاثة في وقت واحد ، ولكن الدين في الصين قبل عصر كونفوشيوس (أى قبل القرن السادس قبل الميلاد) كان يقوم على ثلاثة أصول هي : عبادة الإله الأسمى - عبادة الأسلاف - عبادة الأرواح .

وكان للإمبراطور وحده حق عبادة (شغتاى) الإله الأسمى - نائباً - عن شعبه .. أما الدين الحقيقي لشعب الصين فكان عبادة الأسلاف ، والأرجح أن هذه العبادة كانت أولاً ضرباً من ضروب تكريم الميت بعد الوفاة . أما ما يهمنى من هذه العبادات الثلاث فهو عبادة الأرواح . وهى عبادة لم تغب قط عن بلاد الصين .

كما لم تفصل أبداً عن أسمى ما فيها من عبادات ، فإلى جانب عبادة الإمبراطور للإله (شغتاى) ترى لوحات تمثل الأباطرة السابقين ، ولوحات غيرها تمثل الشمس والقمر والنجوم والغيوم والأمطار والرياح ، موضوعة إلى جانب لوحة الإله العظيم أو فى مقام منخفض عنها .. وهو أمر نعرف منه كثيراً عن حقائق الروح والخلود والصلوات بين العالمين .. لكن كونفوشيوس كانت تعاليمه الخمسة هي : رعاية العلاقة بين الأمير والرعية - العلاقة بين الأب والابن - علاقة الأخ الأكبر بالأخ الأصغر - علاقة الزوج بزوجه - علاقة الصديق بصديقه .

ومن أقواله : « لم تتمكن حتى الآن أن تؤدى واجبنا نحو الإنسان فكيف تؤديها نحو الأرواح ؟ » لذلك نجده قد أبى أن يصرح بشيء عن الحياة بعد الموت ، حتى لا يخوض فى أمور لا يدرها .

وفى اليابان نجد أن البوذية منتشرة بها ومتمثلة فى طوائف عديدة ، وقد تطورت تلك الطوائف وهى طائفة الشنتوية التى تعد أكبر وأنشط الطوائف

البوذية اليابانية ، وهي تعتبر بوذا « جوهرًا إلهيًا حاليًا في الكون ومتمثلاً في أوضاع مجسمة شتى » .

• • •

وفي الصفحات التالية رأينا أن نقدم للقارئ ما كتبه المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه مقارنات الأديان عن آراء بوذا في النفس والروح ومذهبه في ذلك الوقت الذي يدين به أكثر من سدس سكان العالم . يقول المرحوم الشيخ :

آراء بوذا والإلهيات : (١٣)

ثبت أن بوذا كان عاكفاً على دراسة واحدة هي التي جعلها عماد نظره ، وقوام بحثه ، والأساس الذي بنى عليه ديانته ، أو بعبارة أدق مذهبه الخلق ، وتلك الدراسة كان موضوعها تخفيف ويلات الإنسانية ، والقضاء على الشقاء في هذه الحياة ، واجتثاثه من أصله . ولكن قوماً من الباحثين ادعوا أنه أنكر حقيقتين ، وهما : الألوهية ، والنفس الإنسانية .

أما الأول فقد زعم بعض المؤرخين أنه روى عن بوذا أنه أنكر وجود إله أنشأ الأكوان . ويقولون أنه كان يقول : وما الإله ؟ أهو العناصر نفسها ؟ لأن كان ذلك ، ما كان في الأمر جديد غير وضع اسم على شيء ، ويقول أنصار ذلك . إنه كان يعتقد أن في العالم فقط روحاً عامماً متغلغلاً في كل شيء . وأن الذي نعتقه أن بوذا لم يتعرض للبحث في الألوهية بسلب أو إيجاب ، وأن مذهبه إصلاحى اجتماعى خلق أكثر منه ديني ، ولذا لم يتعرض للاهوت ،

(١٣) من كتاب مقارنات الأديان للشيخ محمد أبو زهرة .

ولعل العبارة التي وردت في بعض الروايات كانت في أثناء حيرته وهو منهك في الأدغال والأحراش ، هائم على وجهه يطلب الحقيقة ، بل إن العبارة بين من لحنها واستفهامها أنها عبارة شاك متحير لا عبارة منكر جاحد . إن أولئك الذين يعتمدون على تفكيرهم الخاص في الوصول إلى الحقيقة يعترهم مثل ذلك الاضطراب .

والمذهب لا يؤخذ من قول المفكر عند حيرته ولا من عبارة تلقف عنه ، بل المذهب ما يستقر عليه الشخص ، ويتجه إليه ، ويدعو الناس لاعتناقه ، ولم يدع أحد أن ذلك كان جزءاً من مذهبه وآرائه ، دعا الناس إليه ، بل إن متحلي نحلته كانوا جميعاً يؤمنون بقوة مسيطرة على العالم ، ولم يمنعهم ذلك من أن يجمعوا بين عقيدتهم ومذهبه ، وإذا كان من متبعيه من نخله أوصاف الإله ، فذلك دليل يظن أنه ليس من دعايته إنكار الإله .

وأما إنكار النفس ، فقد ورد أيضاً منحولاً له ، ولكن ذكرته أكثر المصادر ، فهو أقوى سنداً من الإنكار الأول ، وأصدق نسبة ، ولكنه لا يتلاءم مع جملة أفكارهم ، وخلاصة ما ينسب إليهم ، ومما ينسب إليهم بلا ريب في نسبته (التناسخ) والتناسخ لا يفهم إلا إذا كان للنفس كون قائم مستقل عن الجسم ، وليست خاصة له ، ولا ظاهرة من ظواهره . وبيان ذلك أن التناسخ يقتضى أن يكون شيئاً متقللاً من جسم إلى جسم ، حتى يصعد في مدارج الرق أو يكتر عن الخطايا بالتزول في جسم أدنى ، ونحو ذلك وغير جائر أن يكون ذلك الشيء جسيماً ، لأنه لا معنى لانتقال جسم حي في جسم آخر حي ، إلا إذا كان أحدهما خاصة ليست في الأول ، وهي غير الحياة لأن كليهما فيه الحياة ، فلا بد أن يكون ذلك معنى نفسياً .

ولهذا رأى بعضهم لكى تتلاءم فكرة التناسخ مع فكرة إنكار النفس ، أن

يقول : إن النفس غير موجودة ، ولكن هناك رغبة هي التي تنتقل من جسم إلى جسم ، ومن حي إلى حي ، تبعاً لقانون التناسخ ، وهذا فرض لا يمنع الاعتراض الوارد ، والتناقض الواقع ، لأن هذه الرغبة هي خاصة للجسم ، أو هي شيء غير الجسم ؟ فإن كانت غير الجسم ، فهي النفس سواء أسماها رغبة أو نفساً ، وبذلك يعود هذا على أصلهم بالنقص ، ويؤدي كلامهم إلى نقيض ما يدعون ، ويهدمون بيد ما بينونه باليد الأخرى .

وإن كانت الرغبة خاصة من خواص الجسم ، ولا زمة من لوازمه ، فكيف تنتقل إلى جسم آخر ، وهي خاصة من خواص غيره ؟ ذلك يقتضى أن ينتقل الجسم مع رغبته الخاصة به ، لأنه من غير المعقول أن يوجد ملازم من غير ملازمه والخاصة من المختص بها .

لهذا كله نقول : إنكار بعضهم للنفس يتنافى مع اعتقادهم التناسخ الثابتة نسبتهم لهم ، والتوفيق بينها يؤدي إلى أمور لا يقبلها العقل ، أو يؤدي إلى هدم أحد الأمرين : اعتقاد التناسخ أو إنكار النفس .

المذهب البوذي العملي :

الجزء الخصب في البوذية هو مذهبها في الأخلاق وإصلاح المجتمع وتخفيف ما فيه من شقاء ، فلقد لاحظ بوذا أن هذه الحياة تحوطها الأكدار والآلام من كل جانب ، بل إنها آلام تتبعها أحزان تشقق المرائر ، وتجعل كل إنسان في نفص دائم ولبال مستمر ، ولاحظ أن منشأ تلك الآلام التي طم سبلها في هذه الحياة - اللذات والأمانى التي تبعثها الرغبات التي استحوذت عليها الملاذ والشهوات .

فاللذات في عقباها آلام ، وإن تطلعت النفس إليها وتمنتها كان في الحرمان

منها آلام أيضاً . فلولا انبعاث اللذات ما كانت الآلام ، ولولا استهواء الأمانى التى تتبعها اللذات ما كانت آلام الحرمان ، لذلك كان لابد لمحو الآلام القضاء على أصلها ، والنبعة التى نبتت فيها ، وذلك يكون بالقضاء على اللذات وآمالها وأمانيتها ، ولا يتم هذا إلا إذا راض الشخص إرادته على هجر اللذات جملة ، ومجاهدتها ليكون للإنسان القدرة التامة ، فلا يناله الحرمان من لذة بمضض الألم .

لهذا كله كان العباد الذى أقام عليه بوذا مذهبه فى السلوك القويم للإنسان أن يجاهد الشخص الشهوات ، ويروض إرادته والعود أخضر على اللذات والصبر على الحرمان منها ، فلا يكون ألم .

ولكى يصل الشخص فى يسر ومن غير عنف ، إلى تلك الغاية السامية ، وهى رياضة الإرادة لكى يتحمل الحرمان من غير ألم يصحبه ، يجب عليه سلوك الجادة المستقيمة والممر الوسط ، وذلك بأن يكون فى حياته كلها مقيدا نفسه بثمانية أمور فى كل شأن من شئون الحياة ، وتلك الثمانية هى :

(أ) الاتجاه الصحيح المستقيم ، بأن يتجه إلى أى أمر يريده اتجاهاً صحيحاً مستقيماً خالياً من كل سلطان للشهوة واللذة ، وما تبعته من أمانٍ وأحلام فاسدة ، فيجتهد عند الاتجاه إلى أى أمر فى أن يخلص إرادته من شائبة اللذات أو الشهوات ، وما يتصل بها من آمال تبعها وأحلام تثيرها ، وفى الجملة يتقى نفسه من كل ما يتصل باللذة عند الاتجاه .

(ب) الإشراق الصحيح المستقيم ، وذلك أن الإنسان عند الاتجاه إلى أمر من الأمور اتجاهاً مستقيماً خالياً من شوائب اللذات ، تعثره نورانية تجعله يستطيع الوصول إلى حقائق الأشياء من غير أن يرنق نظره أى درن من أدران اللذة ، ولا يرين على عقله ما تثيره من أهواء .

(ج) التفكير الصحيح المستقيم : وذلك أن العقل إن خلا من شوائب اللذة ، ونال الإشراف الصحيح كان تفكيره مستقيماً ، وكانت العمليات العقلية التي يقوم بها في التفكير في هذا الأمر مستقيمة لا تؤثر فيها نزعة هوى ، ولا جموح شهوة ، ولا اضطراب الأمانى والأحلام في قلبه .

(د) ولا شك أن هذه المستقيمات الثلاثة السابقة : الاتجاه المستقيم والإشراف المستقيم ، والتفكير المستقيم يترتب عليها أمر رابع مستقيم ، وهو اطمئنان العقل والقلب إلى فكرة خاصة من بين ما يعرض لها من الأفكار والآراء والأنظار . وذلك هو الإيمان المستقيم ، أو الاعتقاد المستقيم الذي يصحبه ارتياح واطمئنان ، وبه يصير القلب في روح وريحان من النعيم المعنوى .

(هـ) والذي يتم الأمور الأربعة السابقة لفظ مستقيم ، وذلك بأن يكون نطق الإنسان بما انتهى إليه من فكره مطابقاً تمام المطابقة لاعتقاده ، ولما ارتاح إليه ، وعمر قلبه بالسور به .

(و) السلوك المستقيم : وذلك هو الأمر السادس الذي لا بد منه لسلوك المرء الوسط ، والسلوك المستقيم ما يكون مطابقاً لكل ما قام بالقلب من اعتقاد ، فيكون العمل على وفق العلم ، فلا مجافاة بينها ، ولا مناقضة ، بل يكون كل منها مؤكداً للآخر أو متمماً له .

(ز) الحياة الصحيحة : بأن يكون قوامها هجر اللذات هجراً تاماً ، وأن يكون كل ما يجرى فيها متطابقاً مع السلوك القويم ، والعلم الصحيح ، ولا يشذ فيها شيء عن مقتضى هذا السلوك ، وأحكامه .

(ح) الجهد الصحيح : وذلك بأن تكون كل الجهود التي يبذلها الإنسان في سبيل أن تكون الحياة مستقيمة سائرة على مقتضى السلوك ، والعلم والحق ، ومنع كل ما له صلة باللذات ، أو من شأنه أن يثير دواعيها ، ويحفز إليها .

هذه هي الأمور التي لو تمت على وجه مستقيم سار الشخص على الجادة ،
ونسلك الممر الوسط الذي يوصل إلى حياة سعيدة ، خالية من الآلام خلوها من
دواعيها ، وهي الشهوات واللذات .

وإذا كان في هذا الكلام شيء من الخير ، فهو في مقارنته في بعض نواحيه
إلى ما يرمى إليه الحديث الشريف : « لا يؤمن أحدكم ، حتى يحب الشيء
لا يحبه إلا لله » بأن يحب الشيء خالياً في محبته له من كل شوائب الأغراض
والأهواء قاصداً بمحبته وجه الله سبحانه وتعالى ، وذلك في جملة يقرب منه في
الاتجاه الصحيح ، وإن كان معنى الحديث أسمى ، وأدق ، وأحكم .

وإذا كان ما تقدم هو لب الفضائل البوذية ، وما تدعو إليه من مجاهدة
اللذات وبواعثها ورياضة الإرادة على تركها جملة ، فالرذائل ترجع إلى أصول
ثلاثة..وهي :

(أ) الاستسلام للملاذ : فإنه يجعل الحياة كلها في ألم مستمر ، وفوق ذلك
يعكس نظراً الأشياء في العقل والقلب ، فكل نظريكون مغشياً بغشاوة من الشهوات
والرغبات والأحلام الفاسدة ، والأمانى الكاذبة التي تبعث إليها اللذات الملحة .

(ب) سوء النية في طلب الأشياء : وذلك من استمكان اللذات في
النفس ، فإن الغرض الفاسد يتحكم في طلب الإنسان للأشياء ، فلا يصير
واضح المقصد بين الغاية لما له من مآرب يطلبها ويسترها ، وغايات تدفعه
ولا ينالها ، ويدفعه إلى الكتمان رغبة نيلها ، وتوقع الاعتراك بينه وبين غيره فيها ،
لذلك يسود سوء النية ، فهو إذن وليد استمكان اللذة في القلب ، واستيلائها
عليه ، وهو أيضاً أصل لكثير من الرذائل كالغش والكذب والهميمة وغير ذلك .

(ج) الغباء وعدم إدراك الأمور على الوجه الصحيح : وفي أكثر الأحيان
يكون ذلك منشؤه من رين الشهوات على النفس ، وسدها سبيل الإدراك

الصحيح ، فيصبح العقل لا يرى إلا ما تعكسه عليه ، ويمتنع على النفس الإشراف الذى ينشأ من التجرد من الملاذ ، والإلهام الذى يكون من الشهوات . وقد ذكر فى كتب البوذية عشر رذائل ، جاء النهى عنها فى تلك الكتب على صورة وصايا ، وهى لو أخذ الشخص نفسه بها ، ورعاها حق رعايتها ، كان فى الأخذ بها استيلاء تام على الإرادة ، وتلك الوصايا .

(أ) لا تقتل أحداً ، ولا تقص على حياة حى .

(ب) لا تأخذ ما لا يقدم إليك ، فلا تسرق ولا تفتصب .

(ج) لا تكذب ، ولا تقل قولا غير صحيح .

(د) لا تشرب خمرأ ، ولا تتناول مسكراً ما .

(هـ) لا تزن ، ولا تأت أى أمر يتصل بالحياة التناسلية إذا كان محرماً .

(و) لا تأكل طعاماً نضج فى غير أوانه .

(ز) لا تتخذ طيباً ، ولا تكلل رأسك بالزهر .

(ح) لا ترقص ، ولا تحضر مرقصاً ولا حفل غناء .

(ط) لا تقن فراشاً وثيراً ، فلا تقن أرائك فخمة ، ولا وسائل ولا حشايا

وثيرة .

(ى) لا تأخذ ذهباً ولا فضة .

هذه هى الوصايا العشر التى يأخذ بها البوذى ليرى إرادته على ترك الملاذ ، والعكوف على المجاهدة وتهذيب الذات ، وتخفيف ويلات الحياة ، ومنها ترى أنهم يحنون على عدم أخذ الذهب والفضة ، كأنهما الأمر الذى تضل عنده الأفهام ، وتستيقظ حوله المطاعم وكأنهما مدخر اللذة ، لاستعانة الناس بهما فى اجتراح اللذات ، واجترار الشهوات ، ولهذا النهى عن اقتناء الذهب والفضة قال العلماء : إن البوذية تحث على عدم الملك ، وتطالب البوذى

ألا يملك شيئاً ولا يقتنى شيئاً ، فهو يطلب طعامه يوماً بعد يوم ، ولا يدخر من يومه إلى غده .

ولقد كان هذا سبباً في أن ينقسم البوذيون إلى قسمين :

أحدهما : البوذيون الدينيون الذي أخذوا أنفسهم بالتعاليم السابقة لا يحدون عنها قيد أثملة ، وقيّدوا أنفسهم بأنواع من الأطعمة لا يعدونها ، ويحرمون كل شيء غيرها ، ولا يلبسون إلا خشن الثياب ولا يرضون إلا جشب العيش ، لما راضوا أنفسهم عليه ، من ترك كل لذات الحياة وراءهم ظهرياً ، ليستولوا عليها ويمتنعوا عن آلامها .

ثانيهما : البوذيون المدنيون : وأولئك هم البوذيون الذين لم يطبقوا تطبيق المنهاج الشاق الذي أخذ به الدينيون منهم ، فاختاروا لأنفسهم طريقاً وسطاً ليس فيه إفراط غير البوذيين في اللذات ، ولا شدة البوذيين الدينيين بل هو وسط بين النجدين ، أخذوا الأخلاق البوذية من تواضع وإيثار ، وحب للقداء وصدق وأمانة وحلم وعلم وصفاء ، ونالوا بعض الملاذ التي لا تعقب ألماً ، ولم يندفعوا فيها حتى يصابوا بألم عند الحرمان^(١٤) ، وفي الوقت الذي سلكوا فيه هذا المسلك آووا إخوانهم الدينيين ، وأعانواهم على طريقتهم ، وأمدوهم بالأسباب التي تعاونهم على الإيغال في مذاهبهم ، معتقدين أن من آمن ببوذا ، وتحلى بما يدعو إليه من أخلاق وآوى رجال دينه ، وأعانهم ثم تناول بعد ذلك بعض متع هذه الحياة ، فإنه يصل إلى طريق الخلاص ، ويرقى إلى مرتقى السعادة والنجاة .

ما بين البرهمة والبوذية : يتبين مما مضى أن البوذية لم تعن بالبحث عما وراء

(١٤) ولقد اكتفى المدنيون بأن يطعموا من النواهي العشرة المتقدمة الخمسة الأولى فقط وهي النواهي عن السكر والزنا والقتل ، والسرقة ، والكذب ، أما الخمسة النواهي الأخرى فهي خاصة بالمتدينين .

الطبيعة ، فلم تتجه إلى الدراسات التي تتصل بالألوهية ، وحدود سلطانها بل كل عنايتها كان لإصلاح الإنسانية بإنقاذها من الآلام ، وإبعادها عن ويلاتها .
برياضة الإنسان على هجر اللذات ، وتربية الإرادة على إهمالها وعدم العناية بها على ما تقدم ، وهذا كما ترى فارق بين البوذية والبرهمية ، فإن البرهمية كانت فيها العناية الكبرى بالجانب الإلهي . والتقرب للمعبود ، والفناء فيه ، وكل ما فيها من نسك فهو لهذه الغاية ، فإذا اتحدت البوذية والبرهمية في النسك والزهد في الملاذ وهجرها ، فالغاية مختلفة ، فغاية البرهمنى الزلى والتقرب للمعبود وإعطاؤه ما يستحق من عبادة ، أما البوذي فغاياته من النسك رياضية الإرادة على الحرمان ، وتعويدها السيطرة على الرغبة في الملاذ ، لكيلا تشق بطلبها ويحز فيها الحرمان .

ولقد كان أبلغ ما أحدثته البوذية من أثر في المجتمع الإنساني ، إلغاؤها نظام الطبقات واعتبارها بنى الإنسان سواسية كأسنان المشط يتفاضلون في المواهب ، ويتساوون في الحقوق ، لا فرق بين شخص وشخص بنسبه أو طبقته ، ولكن الفرق بينهما بالموهبة والقدرة والعمل . محابوذا إذن الفرق بين الطبقات وتلاقى التام في مذهبه عند الوحدة الإنسانية ، من غير اعتبار للاختلاف العنصرى ولا فضل لأحد إلا بالمعركة وسيطرة الإرادة الإنسانية سيطرة تامة ، لا تقوى اللذات على الغلب عليها .

كتب البوذية : كتب البوذيين ليست منزلة ، ولا يدعون ذلك هم ، بل هم لا ينسبون ما فيها إلى جانب إلهي ، بل هي عبارات منسوبة إلى بوذا أو حكاية لأفعاله أو نقل لما أقره من أعمال أتباعه ونصوص تلك الكتب مختلفة بسبب انقسام البوذيين في فئلتهم ، فبوذيو الشمال لديهم نصوص ليست عند أهل الجنوب ، وأكثرها قد اشتمل على أوهاام كثيرة ، تتعلق ببوذا ، أو حلول الإله

فيه ، ونصوص بوذنى الجنوب هى الأصح نسباً ، والأصدق قولاً والأبعد عن الأوهام ، وهى التى نعتمد على بيانها .

تنقسم تلك الكتب إلى ثلاثة أنواع :

أولها : يشتمل على مجموعة قوانين البوذية ومسالكتها ، وقد جمعت تلك المجموعة سنة ٣٥٠ ق. م ، وهى تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

قسم يحوى العقوبة المفروضة على ما يقع من البوذى من ذنوب ومخالفات ، ويحوى نحو سبع وعشرين ومائة فقرة .

وقسم يحوى التعاليم التى يجب اتباعها لتربية النفس على ما يدعو إليه البوذيون ، وفيه قرارات المجالس البوذية التى انعقدت فيما بين سنتى ٣٨٠ و ٣٢٠ ق. م وفيه أيضاً بيان بما يتبع لقبول طالبى البوذية واجتماعات البوذية ، وتفصيل حياة البوذى .

وقسم فيه خلاصة القسمين الماضيين ، لكونه فى متناول الجاهير ، وفيه خلاصة للسلوك القويم الذى يدعو إليه البوذيون .

ثانيهما : مجموعة الخطب التى ألقاها بوذا ، ووصاياه ، وهى مجموعات مختلفة تضم كل مجموعة طائفة من المسائل المتقاربة فى الفكر ، وفى هذه الخطب وصايا بوذا ، ودعوته التى وجهها إلى الناس وكثير من الأحكام التى تتصل بالبوذية مما يجب على البوذية سلوكه ، وكل هذه الخطب والوصايا تنسب لبوذا .

ثالثها : الكتاب الذى يحوى بيان أصل المذهب ، والفكرة التى نبع منها ، وبعبارة أدق فيه الفلسفة التى قامت عليها الديانة البوذية ، والأصل الذى استنبطت منه تعاليمها ، وفيه بحوث تدور حول الخير والشر ، واللذة والألم ، وفى الجملة نرى فى كتب البوذية كلاماً خصباً قيماً فيه بيان للأخلاق والسلوك القويم ، وقد ترجمت إلى اللغات الحية وكانت مادة لدراسات فلسفية خلقية .

خلاصة القول عن النفس ، خلودها ، وتناسخ الأرواح عند البراهمة

النفس في نظر البراهمة^(١٥) : جوهر خالد صاف عالم مدرك تام العلم والإدراك ما دام منفصلاً عن الجسد ، فإذا فاض على الجسد واتصل به اعتكر صفأؤه ، ونقص علمه ، ولذا يقول باسديو كما نقل البيروني « إذا تجردت النفس عن المادة كانت عالمة ، فإذا تلبست كانت بكدرتها جاهلة ، وظنت أنها الفاعلة ، وأن أعمال الدنيا معدة لأجلها . فتمسكت بها ، وانطبعَت المحسوسات فيها ، فإذا فارقت البدن كانت آثار المحسوسات فيها باقية ، فلم تفصل عنها بالتمام ، وحنّت إليها وعادت نحوها .

وهذه النظرية التي تقرر أن النفس عالمة قبل اتصالها بالجسم تقارب نظرية أفلاطون في المثل العليا في النفس ، وربما كانت أصلاً لها ، فالعلم لا يقع في قبضة أحد ، بل هو ينتقل في البلاد والأمم تنقل الرياح والأمطار فيها ، لا تقف دونه الحاجزات ، ولا تسد الطريق عليه سدود من حدود وحصون .

والنفس عندهم خالدة باقية لا يعرفونها الفناء . ولا يتطرق إليها البلى ، ولقد صرحت بذلك كتبهم ، وهذا ما نقله البيروني يشهد بما نقول : قال باسديو لأرجن يخرضه على القتال . وهما بين الصفيين : إن كنت بالقضاء السابق مؤمناً فاعلم أنهم ليسوا ، ولا نحن بموتى ولا ذاهبين ذهاباً لا رجوع معه ، فإن الأرواح غير مائة ولا متغيرة ، وإنما تتردد في الأبدان على تغاير الإنسان من الطفولة إلى

(١٥) الشيخ محمد أبو زهرة - مقارنات الأديان - الأديان القديمة .

الشباب والكهولة ، ثم الشيخوخة التي عقباها موت البدن ، ثم العود له . وقال له أيضاً : « كيف يذكر الموت والقتل من عرف أن النفس أبدية الوجود لا عن ولادة ، ولا إلى تلف وعدم ، بل هي ثابتة قائمة ، لا سيف يقطعها ، ولا نار تحرقها ، ولا ماء يغصّها ، ولا ريح تُوسّسها ، لكنها تنتقل من بدننا نحو آخر كما يستبدل البدن اللباس إذا خلق ، فما عملك لنفس لا تبيد » .

ومن هذا النص يفهم أن عقيدتهم في النفس أنها لا تبيد ، وأنها تنتقل من جسم إلى جسم ، ومن ذلك جاء اعتقادهم في تناسخ الأرواح ، وهو الطابع الذي امتازت به الديانة البرهمية ، حتى لقد قال في ذلك البيروني : « كما أن الشهادة بكلمة الإخلاص شعار إيمان المسلمين ، والتثليث علامة النصرانية ، والأسباب علامة اليهودية ، كذلك فإن التناسخ علم النحلة الهندية من لم يتشمله لم يك منها » .

وقد قامت عقيدة التناسخ عندهم على دعائم ثلاث :

الدعامة الأولى : اعتقادهم خلود الأرواح .

الدعامة الثانية : اعتقادهم أن الروح بعد مزاوله الجسم تكون في حنان دافع إلى الأجسام ، لما انطبع فيها من المحسوسات ، وأثر فيها من الماديات ، وإن كان ذلك التأثير قد عكّر صفاءها ، وكدر نقاءها .

الدعامة الثالثة : أن النفس في بقائها في الجسم تحيط علماً بالجزئيات وإن كان علمها بالصورة الكلية ثابتاً لها ، وهي في نقلها من جسم إلى جسم تستفيد من كل جسم علماً جديداً بجزئيات لم تكن تعلمها ، فليس من المعقول أن تحيط بكل الجزئيات علماً ببقائها أمداً قصيراً في جسم واحد ، ولذلك « احتاجت إلى تتبع الجزئيات واستقراء الممكنات ، وهي وإن كانت متناهية عددها كثير والإتيان على الكثرة وإحصاؤها علماً يحتاج إلى فسحة في الأمد ، ولذلك

لا يحصل ذلك العلم للنفس إلا بمشاهدة الأشخاص والأنواع ، وما يتناولها من الأفعال والأحوال ، حتى يحصل لها في كل واحد تجربة ، وتستفيد بها جديداً في المعرفة » (١٦) .

لهذا كله كانت الأرواح تتقل في الأجسام ، وتتقل متدرجة في الرقي من جسم إلى جسم حتى تصل إلى الكمال المطلق ، وتكون في صف الروحانيات المتجردة : وهي الملائكة وتكون غير محجوبة عن التصرف في السموات والأرض ، وتدير الكون .

وإذا كانت الروح قد ارتكبت خطيئة في أثناء حلولها في أحد الأجسام أركست في حيوان دون الذي كانت فيه، لتكفر عن خطيئتها، وتطهر من سيئاتها، ثم تسير قدماً إلى الرقي، لا يعوقها عن بلوغ أوجه إلا خطايا تنأثم بها ثم تنطهر. وتستمر كذلك حتى تصل إلى الملكوت الأعلى مع الملائكة في أعلى عِلين، وتتجرد عن الغلاف الجسمي، وقد يكون تدرجها إلى أدنى، فتَهوى إلى جهنم على حسب الأقوال عندهم.

ولعقيدة التناسخ التي استولت على الفكر الهندي وأثرت فيه -- كانوا يعتقدون أن الروح الواحدة تحل في عدة من الأجسام ، وأن الشخص رُحياً تكون روحه قد حلت في مئات الأجسام قبله ، ويحكى البيروني عن ملك من ملوكهم ، « أنه رسم لقومه أن يحرقوا جسده بعد موته في موضع لم يحرق فيه ميت قط ، وأنهم طلبوا موضعاً كذلك ، فأعياهم ، حتى وجدوا صخرة من البحر ناثئة ، فظنوا أنهم ظفروا بالبغيه ، فقال لهم ياسديو : إن هذا الملك أحرق على هذه الصخرة مرات كثيرة فافعلوا ما تريدون ، فإنما قصد إعلامكم وقد قضيت حاجته » .

(١٦) ما للهند من مقولة للبيروني .

الحياة الآخرة :

من عادات الهنود الدينية أن أجسام أكابرهم تحرق بعد الموت ، وذلك لأن النار في اشتعالها تعلو شعلتها إلى أعلى بخط عمودى على أفق الأرض ، والعمود أقرب المستقيمات بين السطوح والخطوط ، ولذا تتجه الروح بهذا الاحتراق إلى أعلى ، سائرة باتجاه عمودى ، فتصعد إلى السماء فى الملكوت الأعلى فى أقرب زمن . هذا سبب من أسباب حرق أجسام كبارهم بعد موتهم . وهناك سبب آخر ، هو أن فى الاحتراق تخلصاً للروح من غلاف الجسم تخلصاً تاماً ، وذلك أن فى الجسم نقطة بها يكون الإنسان ، وهى متلبسة بالجسم متصلة به ، فلا تخلص منه إلا باحتراق أمشاجه وصيرورتها ذرات صغيرة بالاحتراق ، فعندئذ تتخلص تلك النقطة وهى معنى الإنسان ، وتخلصها تتخلص الروح من الجسم ، وتعلو عنه لتتصل بجسم آخر أو لتسمو إلى درجة الملائكة ، إن كانت قد وصلت إلى درجة الخلاص .

وإذا تخلصت الروح من الجسم كان أمامها ثلاثة عوالم : أولها العالم الأعلى ، وهو عالم الملائكة ، تصعد إليه الروح إن كانت بعملها تستأهل الصعود إليه ، والخلاص من الجسم ، والسمو إلى الملكوت الأعلى ، والعالم الثانى من عالم الناس ، وهو عالمنا الحاضر معشر الآدميين ، والنفوس تعود إليه بالحلول فى جسم إنسانى آخر لتكتسب عمل خير ، ولتجتنب عمل شر ، إذا كانت أعمالها فى الجسم الأول لا ترفعها إلى مراتب التقديس فى أعلى عليين . ولا تنزل بها إلى أسفل سافلين فى العالم الثالث وهو عالم جهنم، وهذا العالم يكون لمرتكبي الخطايا الواقعين فى الذنوب، وليس هناك جهنم واحدة، بل لكل أصحاب ذنب جهنم خاصة بهم، فالمدعون على غيرهم حقوقاً كاذبة وشهود الزور لهم جهنم

خاصة بهم ، وسافك الدم وغاصب حقوق الناس والمغير عليهم وقاتل البقر لهم جهنم خاصة بهم ، وقاتل البرهمن وسارق الذهب لهم جهنم خاصة ، والذي يرد قول أستاذه ولا يرضاه ، ويستخف بالناس ويستهن بالكتب المقدسة أو يكتسب بها في الأسواق لهم جهنم أيضاً خاصة ، وهكذا لكل صنف من الآئمين جهنم بمقدار يتناسب مع ذنبهم ، ومقدار ما فيهم من فسوق على الدين وخروج من حظيرته .

ثم هل جهنم دائمة وكذلك الجنة ؟ منهم من يرى أن الجنة نزها دائم ، وأن الجحيم كذلك ، وأنها للجنة أبداً أو الجحيم أبداً ، على مقدار ما قدم الشخص من عمل ، فإن كان العمل في الحياة لا يرفع إلى الجنة ولا ينزل إلى الجحيم أعيدت الروح إلى جسم آخر ، لتعمل ما يعليها أو يردبها .

ومنهم من يرى أن طريق الاكتساب هي الإنسانية وحدها ، وأن التردد فيها مكافأة قاصرة عن درجة الثواب والعقاب الأخرى ، أما الجنة فإنها في علوها تكون للنعم الذي يستحقه من قدم عملاً حسناً ، ويكون البقاء فيها إلى أمد محدود ، وإذا كان العمل الإنساني إثماً وخطيئة تردت روح الشخص في الحيوان والنبات وعقاباً لها على ما اجتاحت من سيئات وقدمت من خطايا ، وبقيت في ذلك أبداً حتى تتطهر مما اجتاحت ، وليست جهنم إلا هذا التردى عند هؤلاء ، فالجنة والجحيم ليستا أبديتين عند هؤلاء ، بل هما مؤقتتان بهذا التأقيت ، بعدها تصعد الروح درجة إلى العالم العلوى أو تنزل إلى المرتبة الإنسانية .

وكلا الرأين يسير على مناهج تناسخ الأرواح ، وإن اختلفت أنظارهم فيه ، ومهما يكن من خلاف في هذا المقام فالمتفق عليه أن البعث في العالم الأخرى إنما هو للأرواح لا للأجساد . فالروح إما في روح وريحان ، وإما في شقوة وجحيم على نحو ما بينا . « انتهى كلام الشيخ أبو زهرة » .

الروح عند الإغريق والرومان (١٧)

إذا انتقلنا إلى الإغريق وجدناهم في أزهى أيام نهضتهم الفلسفية العظمى يكثرّون من الحديث عن الأرواح ويصفونها بالآلهة . ومن هنا كثرت أساطيرهم عن آلهة الحكمة ، وآلهة الجمال ، وآلهة الحب والخمر والصيد والحرب ... وتحدث أكبر فلاسفتهم وشعرائهم ومؤرخيهم عن الأرواح كحقيقة واقعة لا تثير شبهة . ومنهم بوجه خاص سقراط وأرسطوطاليس وأفلاطون وسوفوكليس وهوميروس ويوربيديز وفرجيل وبلوتارك وهيرودوت وبطليموس وهوراس ويوسفوس وماكزيموس أوف تير وتاليس (١٨) ... وغيرهم . وكانت نخلتنا الأورفية والفيثاغورية تؤمنان بخلود النفس ، وتعتقدان أنها جوهر إلهي نزل وسكن في الجسد ، أو بالأدق سجن فيه ، ولا بد أن تقضى النفس مدة العقوبة قبل أن تغادر الجسد (١٩) .

وكان سقراط يؤمن بخلود النفس ، وعندما حكم عليه بالموت صرح لاثنين من أتباعه هما سيمياس (Simias) وسيبس (Cebes) قائلاً : « نعم إني أعترف أنه لولا اعتقادي أني سوف أذهب أولاً صوب آلهة أخرى حليلة ورحيمة ، ثم بعد ذلك نحو رجال ماتوا هم أفضل من رجال هذه الحياة الدنيا ، لكان من الخطأ الفاحش ألا تثور نفسي ضد الموت ... » . وهذه الواقعة رواها أفلاطون

(١٧) عن كتاب الإنسان روح لاجسد للدكتور رهوف عبيد .

(١٨) كان تاليس يقول إن العالم مشحون بالأرواح والشياطين ، وأنهم يتجولون بين أبدينا ومن خلقنا وأنهم يروننا برغم أننا لا نراهم ، وتاليس هذا من فلاسفة القرن السابع قبل الميلاد .

(١٩) راجع عن النحلة الأورفية كتاب « في عالم الفلسفة » للدكتور أحمد فؤاد الأهواني .

عن سقراط في محاوره فيدون .

كما يروى أفلاطون عن سقراط أن أستاذه كان يعتقد أن الفيلسوف الحق هو ذلك الذي لا يشغله عن التفكير في الموت شاغل ، إذ أن الموت هو وسيلة تحرير الفكر ، وأن النفس لن تستطيع أن تدرك شيئاً على حقيقته إلا إذا قطعت كل صلة تصلها بالجسد ، فهو عائقها عن المعرفة الحقة ، وهو عاجز عن تفهم معاني العدل والخير والجمال « إذ طالما بقيت لنا أجسادنا . وظلت نفوسنا مختلطة شديد اختلاط بذلك الشيء الرديء ، فإننا ندرك موضوع رغبتنا إدراكاً كافياً ، وإن هذا الموضوع كهو الحقيقة ... » (٢٠)

ولذا كان سقراط يؤمن أن الفيلسوف الحق هو ذلك الذي ينبغي أن يطلب الموت ، ويعتقد العامة أن اتصال النفس بالجسد حياة وانفصالها عنه موت ، ولذا يخافون الموت مع أن حياتهم في حقيقتها موت . وموت الفلاسفة في حقيقته حياة ، لأن الإنسان العاقل يتعلق بمطالب الجسد ويغفل مطالب النفس وهما العلم وطلب المعرفة . فهو ذو نفس ميتة ولو كان على قيد الحياة ، أما الفيلسوف فيعد نفسه للحياة عن طريق الموت وذلك بأن يعمل على استقلال النفس عن البدن ومطالبه بالزهد فيها وبالبحث عن المعرفة . لا عن طريق الحواس الخداعة ، بل عن طريق العقل والفكر ، والبحث عن الوجود الحقيقي في الحق والخير والجمال والشكل والصحة .

كما كان سقراط كثيراً ما يبرهن على خلود النفس بعد الموت ، وعندما صدر الحكم الظالم بإعدامه قال « إني لمغتبط بهذا الموت كل الاغتباط لأن الإله (يقصد روحه المرشدة التي كان يصفها بهذا الوصف على طريقة الإغريق) لم يعطيني إشارة سيئة عندما برحت دارى ، ولا عندما اعتليت هذه المنصة كيما

أتولى الدفاع عن قضيتي ، ومن عادة الإله أن يعطيني هذه الإشارة السيئة كلما هددني شرماً . وأخذ سقراط قرب احتضاره يبين لأتباعه كيف أن للأشياء عوداً على بدء ، فالحياة يتبعها الموت والموت تتبعه الحياة .

وكان سقراط يعتقد أيضاً أن لكل روح روحاً تحفظها وتلهمها ما قد ينفعها في دنياها ، وعليه فمن الجائز أن يقوم الأحياء بمخاطبة الأرواح في أثناء وجودهم في هذا العالم . كما كان يؤكد أن روحاً كانت تخاطبه وترشده في أمور دنياه منذ كان طفلاً صغيراً . وكان يسمع صوتها ويأتمر بأمرها حتى بعد أن أصبح رجلاً كبيراً^(٢١) . وكان سقراط يعتقد أيضاً بأن إلهاً خيراً يعين الناس عندما يكونون في شك من أمر مستقبلهم ، ولذا كان ينصح أصدقاءه باستشارة الوحي ولا سيما وحي « دلفي » عندما كان معبدها مع معبد « دودونا » من أهم مراكز التنبؤ عند الإغريق ، بفضل تفوهات الغيبوبة التي كانت تصدر عن كاهنات المعبد^(٢٢) .

وتولى أفلاطون بعد سقراط إضافة الأدلة الفلسفية الكثيرة على خلود النفس ، مثل برهان الحياة والحركة ، وبرهان الضدين ، وبرهان التذكر ، والبساطة والتركيب ، والبرهان الخلقى ، بما يضيق المقام عن ذكره ، ويكفى مثلاً أنه في برهان الضدين يقول : « إن صلة الحياة بالموت لشديدة الشبه بتلك العلاقة التي توجد بين اليقظة والنوم . فكما أن المرء يتقل من اليقظة إلى النوم ، ومن النوم إلى اليقظة ، كذلك يتقل من الحياة إلى الموت ، ومن الموت إلى الحياة . والانتقال من أحد الضدين إلى الآخر أمر لا مفر منه ، إذ لو كان الانتقال في اتجاه واحد فقط لاختل التوازن في الطبيعة .

(٢١) راجع كتاب بونغير « الروح ومظاهرها خلال التاريخ » .

(٢٢) راجع كتاب « التنبؤ بالغيب قديماً وحديثاً » للأستاذ أحمد الشتاوى ص ١٨ - ٢٢ .

ويترتب على ذلك أنه من الواجب أن تظل نفوس الموتي حية في مكان خاص حتى تكون منبعاً ومبدأ لكل حياة جديدة. ولولم يكن هناك انتقال من الموت إلى الحياة لانهى كل ما في الوجود إلى العدم ، كما هي الحال تماماً لو استقر المرء في نومه إلى ما لا نهاية » (٢٣) .

ومحاورة فيدون - وهي من أمتع ما كتب أفلاطون - تمثل ليلة إعداد سقراط ومحورها خلود النفس . ويشير إليها أفلاطون في الخطاب السابع قائلاً : « فإذا كانت النفس إلهية خالدة فليس لها أصل نشأت عنه ولا تخضع للفساد ، وإذا كانت النفس إلهية فعلينا أن نتعلق بها وحدها ، لأن الفلسفة هي الشبه بالإله بقدر الطاقة الإنسانية . ولكن الإنسان ليس نفساً فقط ، بل هو نفس وبدن ، ولكل منهما مطالب ، ولذلك يكون الإنسان ما دام على قيد الحياة ومتصلاً بالبدن حكيماً محباً للحكمة أى فيلسوفاً فقط ، وإذا انفصل عن البدن عند الموت بلغت النفس الحكمة . فالموت للرجل الصالح مطية لحياة أفضل لأنها حياة النفس » (٢٤) .

وكان أفلاطون يعتقد أيضاً أن الموت هو الوسيلة التي بها يتيسر للفيلسوف أن يفكر جيداً » وذلك لأن حياة الفيلسوف عند أفلاطون هي حياة متجهة دائماً إلى تأمل الصور أو المثل ، ولا يتيسر تأمل الصور تأملاً حقيقياً ما دامت النفس سجنينة في البدن ، فلا بد من الخلاص من البدن - أى لا بد من الموت - حتى يكون في مقدور المرء أن يتأمل الصور دون أن يشوه عليه هذا التأمل مشوه . فكان الموت في نظر أفلاطون إذاً جسراً ومعبراً يتقل بنا من حياة النفس في البدن

(٢٣) عن كتاب « في النفس والعقل لفلاسفة الإغريق والإسلام » للدكتور محمود قاسم طبعة ٣

ص ٥٤ .

(٢٤) عن كتاب « أفلاطون » للدكتور أحمد فؤاد الأهواني ص ٩٢ .

إلى عالم الصور . فهو ابتداء أولى من أن يكون نهاية ، لأنه ابتداء للحياة الروحية الحقيقية ، حياة النفس ، حياة تأمل الصور ، هو على وجه العموم باب يفتح على الأبدية ... » (٢٥) .

كما كان أرسطو يتحدث عن العقل فيرى شيئاً خالداً مستقلاً عن الجسد . وكان يعتقد بالتالي بوجود عالم عقلي مغاير لعالم الحس والمادة « ولا يستطيع المرء القول بأن هذا العقل يفكر تارة ولا يفكر تارة أخرى . فتنى فارق الجسد فإنه يصير على غير ما كان عليه ... وهو وحده الذى لا يموت وهو الخالد .. فى حين أن العقل قابل للفساد » (٢٦) .

وهذا الرأى يوافق ما يقول به علم الروح الحديث من أنه وإن كانت الذاكرة تبقى بعد الموت ، إلا أنها لا تبقى فى كل جوانبها بل يلحقها نوع من التغيير يمس جوانبها السطحية ولا يمس الذكريات العميقة الدفينة فيها . أو بعبارة أخرى أن الذاكرة تبقى على حالها بقدر اتصالها ببقاء الشخصية بعد الموت ، ولا تبقى بقدر بعدها عن هذه الشخصية . لذلك كانت أحسن البيانات على ثبوت بقاء الشخصية هو ما يجيء عرضاً ، أما امتحان الروح فى ذكرياتها الأرضية فقد ينجح أو لا ينجح بحسب قوة هذه الذكريات ، وعمق ما تركته من أثر فى العقل الباطن . وفى هذا الموضوع بحوث كثيرة أضاعت بعض جوانب ما قد يتبقى من الذاكرة بعد الموت ، وما قد يندثر منها ، بعد انسلاخ الجسد الأثيرى - وهو موطن العقل والذاكرة - عن الجسد المادى .

وقد تحدث فى هذا الشأن أيضاً إسكندر الأفروديسى - وهو من شراح أرسطو - فذهب إلى أن العقل الفعال « ليس من أجزاء النفس ولا من

(٢٥) عن « الموت والعقيرة » للدكتور عبد الرحمن بدوى طبعة ١٩٦٢ ص ١٥ ، ١٦ .

(٢٦) D Anima III 340-A-20-25. (٢٦)

وظائفها ، بل هو الإله الذى يتمثل فى نفوس البشر ، ويحل محلهم فى تفهم معانى الأمور وصنع المعقولات .. وهو غير قابل للفساد ، بل هو كائن إلهى خالد ، بل هو الذى يخلق العقل بصفة خاصة » .

وفعل مثله تمستويس (Themistuis) وهو أيضاً من شراح أرسطو ، الذى كان ينكر أن أرسطو كان يرى أن العقل الفعال هو الله الذى يفكر فى نفوس البشر ، لأن هذا العقل جزء منا ، أو هو حقيقتنا بعبارة أصح . كما كان يرى أن العقل المادى بدوره غير قابل للفساد ، وينسب إلى أرسطو أنه يتحدث فحسب عن فناء العقل المشترك الذى يكون به الإنسان مكوناً من نفس وجسد ، والذى هو محل الانفعالات كالغضب والشهوة (٢٧) .

وهذا الفهم الإغريق لخلود الروح ، ولقيمه المعرفة فى سعادتها ، وللتمييز بين موت الجاهل وموت العالم ، ولوجود عالم عقلى مغاير لعالم المادة ، وصل إليه أحسن فلاسفة الإغريق بالفطرة السليمة وحدها ، أو بالأدق بالإلهام الراقى وحده ، ولم يفعل علم الروح الحديث أكثر من إثباته بأدلة تجريبية على ما سيلي فى عدة مواضع ، وبخاصة فى الموضع الذى خصصناه للكلام فى وصف عالم الروح ، وفى الثواب والعقاب .

وكان الرومان يعرفون الروح أيضاً ويتحدثون عنها ، لكن بطريقة لا تعد شيئاً إلى جانب عمق طريقة الإغريق . لأن حضارة الرومان كانت محض حرب واستعباد للشعوب . فسرعان ما تقوضت أركانها غير مخلفة وراءها سوى المآسى والدماء ، على حين ، خلفت حضارة الإغريق تراثاً روحياً فلسفياً ، لا يزال العالم يستضيء بنوره حتى الآن ، ولا يزال يهر أبصار الفلاسفة والمفكرين برغم قدم العهد به .

ومع ذلك فهي هي مثلاً شيشرون Ciceron (٢٨) خطيب الرومان ومشرعهم المعروف يقول في خطبة له « أليست غالبية السموات مملوءة بالبشر؟ هؤلاء الآلهة أنفسهم نشأوا هنا في الأسافل ثم صعدوا إلى السماء » هذا وقد عالج شيشرون هذا الموضوع في مؤلفه ، عن « طبيعة الآلهة » (٢٩) التي يقصد بها الأرواح على النحو الذي كان معروفاً عند الإغريق ، والذي يبدو أنه انتقل إليهم من مصر. ويسلم شيشرون في مؤلفه هذا بأن الإيمان بالآلهة أو بالأرواح شائع لدى جميع الفلاسفة ، بل لدى الجاهل والأمين أيضاً ، وأنه مغروس في عقولنا أو بالأدق فطرى فينا .

الروح في العقيدتين الموسوية والمسيحية

كان الدين الموسوى زمان ظهوره ثورة روحية . وصاحبها ينقل الرسالة عن الرب لقومه ، وهكذا رسمت تعاليم معينة محددة بتعين مراعاتها ، وهي تجعل من الرسالة حقيقة واقعة وليس هناك حلقة مفقودة هي الروحانيات والخيالات ، بل الرسالة دعوة واقعية ، ينقل داعيها الرسالة من الرب ويبلغها لقومه (٣٠) . والإنسان في نظر اليهودية له إرادة حرة مختارة ، وهي ترفض كل وسيط بين الله والإنسان ، فأهم ما ورد في الرسالة الموسوية هو فكرة التوحيد . والفرد فيها

(٢٨) نكتفى بإيجاز رأى شيشرون باعتباره كما سبق القول خطيب الرومان ومشرعهم .

On the Nature of the Gods. (٢٩)

(٣٠) يروى الأستاذ Beck أستاذ العلوم العبرية بجامعة برلين في كتاب أديان العالم بعض العبارات المقدسة في العبرية يفيد المعنى ومنها : « وهكذا خاطبني الخلود قائلا : لا تنقل إلى صغير السن لأداء الرسالة ، ستذهب إلى كل مكان أبعث بك إليه وستقول ما أمرك بقوله » .

وحدة في ذاته وعليه أن يخدم ربه بكل قواه ، فخالق العالم هو أقوى ما في الوجود وهو فوق كل العوالم . كذلك فإن الخلود حقيقة ثابتة ، وتعتبر إحدى الصلوات الإسرائيلية القديمة عن ذلك فتقول ما معناه : « ربى إن الروح التي منحتى إياها طاهرة نقية وهى نفخة منك فى نفسى » (٣١) .

وفى المثل الموسوية ما يفيد أن الرب يخلق الروح طاهرة ، ثم تتلوث بعد ذلك بالذنوب والمعاصى . أما حين نتحدث عن الروح فى العقيدة المسيحية فنقول : إن العقائد القديمة كانت محلية تتعدد فيها الآلهة الوثنية ، حتى حاول الأباطرة تحويلها إلى عبادة الدولة ممثلة فى الإمبراطور . لكن اليهودية كان لها مع المسيحية شأن آخر عند نشأتها فن فئة الفريسيين (إحدى الفئات الانفصالية اليهودية) كان أكثر أتباع المسيح كبولس وغيره ، وفى فترات الظلم والاضطهاد كان أمل الفريسيين فى مجيء المسيح يتزايد .. فقد كانوا يرجون تدخل من الرب يمحى السلطة الرومانية الغاشمة ، ويقمى ملكوت الله الذى تبعث فيه اليهودية من جديد ، تحت حكم ملك من نسل داود .. وجاءت المسيحية بنظرية جديدة سفهت كل قيم الأشياء الأرضية إذا قورنت بالأشياء السماوية .. وما لبثت هذه العقيدة الجديدة بعد ثلاثة قرون ، أن كسبت قانوناً أصدره الإمبراطور قسطنطين سنة ٣١٣ م ، أباح فيه لجميع رعايا الإمبراطورية - ومن بينهم المسيحيون - أن يعبدوا من يشاءون .. وما أن حل القرن الخامس حتى غدت الإمبراطورية مسيحية لحماً ودماً .. ولكن المطامع والأهواء جاءت مع الفوز ، فرعمت الدولة أن من حقها الإشراف على الكنيسة ، وأنها فى ذلك لا تطلب إلا ما كان

(٣١) كتاب مقدمة فى أصول النظم الاجتماعية والسياسية - د . أحمد عبد القادر الجبال . ص ١٠٩

لها من حق على العبادة الوثنية^(٣٢) ، وانتهى النزاع بانتصار الكنيسة. لكن ذلك لم يدم طويلاً إذ انقسمت المسيحية إلى كنيستين : الشرقية ومركزها اليونان ، والغربية ومركزها روما .

وفي سنة ٣٢٥م عقد مؤتمر ديني انتهى إلى القول بتأليه يسوع ، ونال البابوات ما كانوا يحلمون به من سيطرة وأفانين الطمع والخصومات ، فكانت حركة الإصلاح الديني إلى أن تألف دستور الكنيسة في مؤتمر ترانت الديني سنة ١٥٥٠م .

ويقول حبيب سعيد في كتابه مقدمة عشرون قرناً .

« جاء الدين النصراني بآمال واسعة ، فقد وعد الضعفاء والمحرومين والبائسين في هذه الدنيا بجنة ذات نعم أبدى ، حيث يتساوى الفقير والغنى ، فبينما كانت الحياة الدنيوية أهم ما يعنى به الإغريق والرومان ، صارت الحياة الآخرة الغاية الوحيدة لآمال النصراني الذي كان يعد الدنيا ممراً للحياة السماوية ، لذلك ملكت السعادة الأبدية أفكاره .. ولكي ينال النصراني هذه السعادة ويتجنب جهنم فقد رضى بأسوأ زهد .. رضى بالفقر والرهبانة » . وهذا الرضا بالفقر والرهبانة هما علامتا فشل المسيحية عند التطبيق العملي ، لأنها بذلك تتطلب من البشر فوق ما يطيقون احتماله ، ولأن كبت النزاع الفطرية على هذه الصورة أمر مستحيل ، كما أن قتل الفرائز وإرهاق الجسد بالحرمان والتعذيب الدائم خلاصاً من الضغوط الملحة ليس له إلا أحد أمرين أن ينقطع الإنسان مترهباً بعيداً عن الحياة والأحياء .. وما هكذا يريد الله ولا بهذا تعمّر الأرض ، أو أن يسقط الإنسان من طول المقاومة فينحرف إلى غير عودة ..

(٣٢) من مقدمة عشرون قرناً ، للأستاذ حبيب سعيد .

ذلك أن المسيحية في تطبيقها العملي مخالفة لطبيعة الحياة والأحياء (٢٣) : فالجسد في المسيحية كما في الهندوكية محتقر مهين ، ولا يترع لغير الشر ولا يتبع عن إطاعة شهواته إلا الشقاء الأبدى ، ومن ثم فإن طريق السعادة الأوحد وهو قهر الجسد وكبت الشهوات .. فالطريقة المثلى للتطهر من غريزة الجنس في المسيحية هي عدم الزواج ، والانقطاع عن هذه الشهوة التي تهيئ بالروح .. لذا فإن الصبي المسيحي ينشأ وفي نفسه عقد تستنكر الجنس وتستقذره . فإذا بلغ مبلغ المراهقة بدأ الصراع ثم لا يكف أبداً . حتى لو تزوج الفتى وبدخله كل هذه العقد .. وأى كارثة كانت تصيب الإنسانية لو أن كل البشر اعتزلوا الحياة ومسجنوا أنفسهم خلف الصوامع والأديرة .. إذاً لانقطعت الحياة بانقطاع النسل .. كذلك فإن التعاليم المثالية تقول : « إذا ضربك أحدهم على خدك الأيمن فأدر له الأيسر » . و « إذا أعثرتك عينك فاقلعها وألقها عنك ، فإنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك من أن يلقى بذلك كله في جهنم » . وجميل حقاً أن تنتشر هذه التعليمات ولكن أين هي في الحياة .. وأين هي من سلوك البشر ؟ حقاً إنهم يستجيون لها ولكن في حدود الكنيسة ، حتى إذا انطلقوا للحياة انطلقوا بشراً ، لا يدير أحدهم خده الأيسر لمن لطمه على خده الأيمن ، ولا يقلع أحدهم عينه ويلقيها عنه لأنها تعثره ، ولا يرضى بأن يهلك عضو واحد من أعضائه تكفيراً عن إثم من الآثام . ومع إيماننا بالمسيحية كدين سماوى نزل على نبي من أنبياء الله هو عيسى عليه السلام ، فإننا نقول أن نسبة الروحانية الغالبة فيها إنما لأنها كانت (حقنة) مضادة للمادية اليهودية الرومانية ، عليها تتعادل معها فتصلح النفوس .

(٢٣) الإنسان بين المادية والإسلام - محمد قطب - بتصرف .